

عبر المرآة

رواية

تاليف : لويس كارول

مكتبتنا

عبر المرآة

رواية

تأليف : لويس كارول

ترجمة : فوزي نعمان أبو شترا

مقدمة المترجم

بعد ست سنوات من صدور كتاب «**أليس في بلاد العجائب**» الذي لاقى كثيراً من النجاح في مدة وجيزة أصدر تشارلس دودجسن، تحت الاسم المستعار الذي اختاره وهو لويس كارول، كتابه الثاني «**عبر المرآة**». أصدره استجابة لإلحاح أصدقائه الكثر والمعجبين بقصصه للاطفال، التي بدت فريدة في بابها من حيث ملاءمتها لنفسياتهم، متميزة بمادتها الجذابة المختلفة تماماً عمّا سبقها من قصص كانت تتحدث عن العفاريت والجن، والمخلوقات المخيفة. كان كارول خلال السنوات الست بين القصتين يتابع رواية قصصه الخيالية لأليس واخواتها فيما هو

يعلمهن قواعد لعبة الشطرنج. وذكرت أليس بعد ذلك بنحو ستين سنة كيف كان تشارلس (أوكارول) يعلمهن أيضاً التجذيف في النهر ويجتمع بهن في ردهة بيته ليروي لهن قصصه «السخيفة» التي كانت تثير ضحكهن واهتمامهن البالغ في آنٍ واحد! . ثمّ يأخذ لهنّ الصور الضوئية ويدخلهن الى الغرفة المعتمة ليريهن كيف تظهر الصور بالتدرج على الألواح الفوتوغرافية تحت أنظارهن وهو يحرك وعاء السائل الذي يستعمل في التظهير.

قال كارول في مقال نشره في مجلة «المسرح» في نيسان ١٨٨٧ عندما مثلت قصة أليس في مسرحية أول مرة: «**كلّ فكرة بل كلّ كلمة في الحوار جاءتني عفو الخاطر، لم أكن قادراً على إطلاق حركة الابتداع كما تطلق أجهزة الساعة بمجرد تعبئة قوسها بفعل ارادي**». ويروى أن كارول سمع مرة وهو يسير في ساحة كنسينغتون ضجيج الأولاد وهم يلعبون وينادون فتاة باسم أليس (وكان اسمها الحقيقي أليس رايكس) فدعاها اليه قائلاً إنّه يحب الأليسات وأخذها الى بيته وهناك قدّم لها برتقالة وسألها بأيّ يد تمسكها. : فقالت: «**بيدي اليمنى**»، عندئذ طلب منها أن تقف أمام المرآة وتقول له بأيّ يدٍ تمسك الفتاة الأخرى التي في المرآة بالبرتقالة، فقالت: «بيدها اليسرى». ولمّا طلب منها التفسير سألت الفتاة ببراءة: «**افترض أني كنت أنا في الجهة الأخرى من المرآة، ألن تكون البرتقالة في يدي اليمنى كذلك**». عجب كارول من جوابها ثم ألهمه هذا الجواب فكرة عالم المرآة المقلوب.

وضع كارول القصة على أساس لعبة شطرنج في حبكة رائعة، لكنها جاءت تستوجب بعض المعرفة بالشطرنج ولا بدّ من بعض التجويل لجعل القصة في سياق يفهمه الجميع، وأدخل بعض القصائد على نمط ما احتواه كتابه الاول لكن الطابع العام للقصتين بقي نفسه بحيث جاءت الثانية متممة للأولى.

ولا تزال منذ ذلك التاريخ قصتا كارول تحتلان مكاناً بارزاً في عالم قصص الأطفال بسرد وقائع تستحوذ على المخيلة في أنحاء العالم.

ف. أ.

الفصل الاول

بيت المرآة

شيء واحد كان أكيداً، أن القطيط الابيض لم تكن له علاقة بما حدث والمسؤولية تقع كلّها على القطيط الاسود. فالقطيط الابيض الذي كانت القطة الهرمة تقوم بغسل وجهه خلال ربع الساعة الأخير (وكان يتحمل مشقة هذه العملية بصبر جميل) لم يكن ممكناً أن تكون له يد في الإساءة التي حدثت.

الطريقة التي كانت تغسل بها «دينا» وجوه جرائها: أولاً تمسك بأذن القطيط المسكين وتثبته في الأرض بأحدى قوائمها من أمام ثمّ تأخذ بباطن قائمة أخرى تفرك وجهه في الاتجاه الخطأ، مبتدئة بالأنف.

في هذه اللحظة، كما قلت، كانت «دينا» عاكفة على غسل وجه القطيط الأبيض الممدّدِ على الارض دون حراك، على حين كان يحاول هو أن يزمجر قليلاً - غير انه ولا شك في ذلك يشعر بأن في هذا العمل نفعاً.

كان القطيط الاسود قد خضع لهذه العملية في ساعات بعد الظهر الأولى وعندما جلست أليس في إحدى زوايا المقعد الكبير الوثير، في هيأة من يناجي نفسه وهي نصف نائمة، راح القطيط الاسود يقذف لاهياً بكرة خيوط الصوف وكانت أليس تحاول أن تلفها فدحرجها عبر الغرفة ذهاباً واياباًحتى تشابكت خيوطها وانتثرت على سجادة المدفأة معقدة متشابكة والقطيط يعدو خلف ذنبه يحاول التقاطه في وسط الغرفة.

رأته أليس فصاحت به: «**يا لك من قطيط شرير، شرير**»، ثمّ رفعته عن الأرض وقبلته لكي تفهمه أنه مغضوب عليه، يتسربل بالخزي والعار، ثم استطردت: «**في الحقيقة يجب على دينا أن تلقنك آداب السلوك بطريقة افضل. نعم يجب أن تفعلي ذلك يا دينا وأنت تعرفين**». وكانت تنظر الى دينا موبخة بصوت حاولت أن تجعله ينمُّ عن أقصى ما تستطيع من الغضب. ثم انكفأت الى المقعد الوثير ومعها القطيط وكرة الصوف تحاول أن تعيد لفها. ولم تكن تستطيع انجاز عملها سريعاً لأنها كانت طوال الوقت تحدث نفسها أو القطيط الصغير الذي كان يجلس بهدوء على ركبة أليس متظاهراً بأنّه يهتمُّ بملاحظة لفّ خيوط الصوف وكان من حين الى آخر يمدّ قائمة ليلامس كرة الصوف بلطف كأنّه يريد التعبير عن استعداده للمساعدة لو استطاع.

قالت أليس: «**أتعرف ما الغد يا كيتي؟ كنت تحزر لو وقفت معي على النافذة - ولكن دينا كانت تنظفك فلم تقدر. كنت اراقب الصبية يجمعون العيدان لإشعال النار. والنار يلزمها مقادير كبيرة من العيدان يا كيتي. لكن الطقس بارد والثلج يتساقط فذهبوا الى بيوتهم. لا بأس يا كيتي، سنذهب لنرى النار المشتعلة غداً**».

لفّت أليس الخيط مرة، مرتين حول عنق القطيط لترى كيف يبدو به لكن المحاولة افزعت القطيط فقفز وأدى ذلك الى سقوط كرة الصوف من يدها فانحلّت الخيوط وتمددت ثانية على السجادة.

صاحت أليس بغضب: «**أتعرف؟ كنت غاضبة منك الى أقصى حدّ يا كيتي مذ لاحظت مقدار ما تسبب من ازعاج، وكنت على وشك ان افتح النافذة لأضعك في الخارج على الثلج. إنك تستحق ذلك أيها القطيط العزيز الشرّير. فكيف تدافع عن نفسك؟**

كلا، لاتقاطعني».

كانت أليس قد عادت وجلست وهي تحمل القطيط في زاوية المقعد الوثير، واستطردت تقول، وقد رفعت اصبعها مؤنبة القطيط: اسمع، سأعدّ لك ذنوبك - الأول، زعقت مرتين عندما كانت دينا تنظف وجهك هذا الصباح. لايمكنك أن تنكر هذا ياكيتي، لأني سمعتك، ماذا تقول؟ (تظاهرت كأنها تصغي الى القطيط وهو يكلمها) أدخلت يدها في عينك؟ كان ذلك بسبب خطأ منك، لأنك أبقيت عينيك مفتوحتين ولو اغمضتهما لما حدث. لاتأتِ بعذر، ولكن اسمع. الخطأ الثاني، سحبت القطيطة «قطعة الثلج» من ذنبها حين كنت اضع وعاء الحليب امامها ؛ ماذا تقول؟ كنت ظامئاً؟ صحيح؟ ومن اين لك ان تعرف أنها ليست ظمأى مثلك؟ الآن، الخطأ الثالث، تسببت بحلّ كرة الصوف وأنا غير منتبهة. ثلاثة اخطاء يا كيتي ولم تعاقب على أيٍّ منها حتى الآن. هل تعلم **«أني اجمعها كلها لك حتى يوم الاربعاء؟ . .»**

هنا أخذت تقول وكأنها تخاطب نفسها وليس القطيط: **«لنفرض أنهم أخذوا يجمعون اخطائي لإنزال القصاص بي في نهاية السنة، فكم تبلغ؟ ربما عليهم أن يرسلوني الى السجن. ولكن لنفرض أن العقوبة كانت أن امنع من وجبة، إذن عندما يحين الوقت سأضطر الى البقاء بلا غذاء خمسة عشر يوماً دفعة واحدة. ولا يهمني كثيراً فإني افضّل ان ابقى بلا غذاء على أن أتناوله».**

عادت تحدث القطيط وتقول: **«هل تسمع وقع الثلج على زجاج النافذة ياكيتي؟ ما أعذب هذا الصوت، يبدو لي كأن أحد الناس يقبل ظاهر زجاج النافذة. ترى هل يحب الثلج الأشجار والحقول فيقبلها بلطفٍ ورقّة هكذا؟ ثمّ يغطيها ويغمرها بغطاء أبيض.؟ بل لعله يهمس لها قائلاً «نامي أيتها الأحبة الى أن يوقظكم الصيف»**.

وعندما تستيقظ الحقول والأشجار في الربيع ياكيتي، ترتدي كلّها حلّتها الخضراء وتتراقص على هبوب النسيم وتتمايل. أوه، ما أجمل هذا. ألقت أليس كرة الصوف لتصفق بابتهاج وتصيح: **«كم اتمنى لو كان هذا التصوّر حقيقة. لاشك أن الاشجار ناعسة في الخريف، لذلك تصفرّ أوراق الشجر».**

التفتت أليس الى القطيط وقد استيقظت من تأملاتها وقالت:

«كيتي، هل تلعب الشطرنج؟» اوه لاتبتسم يا عزيزي، إني اسألك جادةً عندما كنا نلعب الشطرنج منذ قليل كنت تراقبنا كأنك تفهم اللعبة جيداً. وعندما قلت «كش ملك»، رحت تزمجر. كان ذلك كشاً مدهشاً يا كيتي، وكان خليقاً بي أن اربح لولا الفارس الشرير الذي اندفع متغلغلاً بين البيادق يا عزيزي كيتي. تعال، فلنتصور...».

اودّ لو كنت استطيع ان أروي لك نصف ما تردده أليس عندما تبدأ الحديث بقولها فلنتصور، فهذه جملتها المفضلة. خاضت أليس مناقشة طويلة في اليوم السابق لأنها بدأت بالقول:

«لنتصور أننا ملوك وملكات»، فردّت شقيقتها التي تحب ان تكون دقيقة في ما تفترض قائلة: ـ إن ذلك غير ممكن فهما شخصان فقط، مما اضطر أليس الى التراجع والقول: **«حسناً يمكنك أنت أن تكوني واحدة من الملكات والملوك وأنا وحدي أكون الباقي»**. ومرة أثارت فزع مربيتها عندما صرخت في أذنها: **«يا مربيتي العزيزة، فلنتصور أني أنا ضبع جائعة وأنت عظمة»**.

هذا يبعدنا كثيراً عن حديث أليس للقطيط الصغير: **«فلنتصور أنك أنت الملكة الحمراء**في رقعة الشطرنج). اتعرف، لو شبكت ذراعيك ووقفت جامداً ستبدو تماماً كالملكة الحمراء يا عزيزي كيتي. هيّا جرّب، أيها القطيط العزيز».

اخرجت أليس ملكة الشطرنج الحمراء من الطاولة ووضعتها منتصبة كأنّها مثال للقطيط لكي يقلدها، لكنها تجربة لم تنجح لأنّ القطيط الأسود، على قول أليس، لم يعرف كيف يشبك ذراعيه على النحو المناسب.

وقصاصاً، رفعته بيديها وجعلت وجهه لصق المرآة، لكي يرى وجهه وكيف يبدو متقلصاً من الغيظ وهي تقول له: **«اسمع اذا لم تصبح عاقلاً في الحال سأدفع بك الى داخل بيت المرآة هذا. ما رأيك»**.

تابعت أليس مناجاتها للقطيط قائلةً: **«والآن اذا اصغيت اليّ فقط يا كيتي دون أن تتكلّمَ بهذا المقدار أروي لك كل افكاري في خصوص بيت المراة. اولاً، هناك الغرفة التي تستطيع أن تراها عبر الزجاج - تماماً كغرفة الجلوس في بيتنا لكنّ الاشياء التي فيها تبدو على عكسها عندنا. وعندما اصعد كرسياً أراها كلها ما عدا**

ذلــك الجـزء الـذي وراء المـدفأة. أوه، كم أتمنى لو كنت استطيع ان أرى ذلـك الجزء. كم أود ان اعرف هل كانوا يشعلون ناراً ليصطلوا بها في أيام الشتاء الباردة. لايمكنـك أن تعـرف إلّا اذا اخـذت مدفأتنـا تبعث الدخان عالياً، عندئذٍ ترى ذلك الأمر في الغرفة ايضاً، وربما كان مجرد ظاهرة غير حقيقية بحيث تبدو تلك الغرفة في المرآة كأنّ فيها ناراً بالفعل. الكتب ايضاً تبدو مثل الكتب عندنا انما الكلمات مكتـوبـة عكسـاً (اي بالمقلوب). أنـا اعرف ذلك لأني رفعت يوماً أحد الكتب امام المرآة واذا بي أرى في الجهة الأخرى كتاباً مرفوعاً أمام وجهي كا فعلت. هل تحب أن تعيش في بيت مرآة ياكيتي؟ ترى هل يعطونك حليباً لتشربه في ذلك البيت كما نفعل نحن هنا؟ ربما كان حليب بيت المرآة غير صالح. اوه يا كيتي الآن وصلنا الى الممر. يمكنك أن ترى جزءاً صغيراً من الممر يا كيتي لو تركت باب غرفتنا مفتوحاً وهـو مثـل الممـر في بيتنـا على ما يبدو لنا، ولعلّه يختلف عن ممرنا. اوه ياكيتي كم يكـون جميـلاً لو استطعنـا أن نعبـر الى داخل بيت المرآة. أنا واثقة من وجود أشياء كثيـرة جميلة فيـه. فلنتصور يا كيتي أن نعبر إلى داخله بطـريقـة ما، لنتصـور أنّ الحـاجـز الـزجـاجي في المـرآة أصبح طريّاً كالشاش الذي نستعمله في ضمادات الجرح، اذن لاستطعنا ان نجتازه ونمرّ من خلاله... ماذا؟، أراه يتحول الآن الى نوع من الضباب، ومن السهل جداً ان نعبر خلاله...».

كانت أليس صعـدت الـرتـاج فوق المـدفأة عنـدما وصلت في مناجاتها الى هذا الحـدّ دون أن تعلم بالفعـل كيف تسنى لهـا أن تفعـل. وبكـلّ تأكيـد طفق الزجاج يتـلاشى ويـذوب متحـولاً الى ضبـاب برّاق فضّي. برهة وكانت أليس قد عبرت من خلال الضبـاب الفضيّ إلى الجهـة الأخـرى من المرآة، ثم قفزت هابطة الى داخل بيت المـرآة. أول ما فعلتـه كان التأكـد من أن ناراً في المـدفأة التي رأتهـا في المرآة وكـان سرورهـا بالغـاً عندما وجدت النار تنشر دفئها تماماً كالنار التي تركتها وراءها في غرفـة الجلوس الحقيقيـة فقـالت لنفسهـا: «إذن سأكـون دافئة هنا كما كنت في غرفتي، بل ربمـا سأشعـر بالـدفء اكثـر لأنه لن يكون معي أحد هنا لينهرني فابتعد عن النار. آه، كم يكون ممتعاً لي أن يروني هنا عبر زجاج المرآة دون أن يستطيعوا الوصول اليّ...».

حالاً بدأت أليس تنظر حولها فلاحظت كل ما كان يظهر لها من الغرفة القديمة هو

نفسه، عادياً لايثير أي اهتمام، ولكن كل شيء ما عداه كان مختلفاً. والمثال الصور المعلقة بقرب المدفأة تبدو حيّة حتى الساعة الواقفة على رتاج المدفأة (التي لايظهر منها كما تعلم، سوى ظهرها في المرآة) كان لهاهو وجه رجل عجوز لكنه صغير يبتسم لها.

قالت أليس: «**إنهم لايرتبون هذه الغرفة ويبقونها كتلك الغرفة**». قالت ذلك لأنّها لاحظت ان بعض قطع الشطرنج متروكة على أرض المدفأة بين الجذوات الملتهبة، بعد لحظة صدرت عنها «**آهة**» دهشة وهي تنكب على يديها وركبتيها لتراقب القطع. ياللدهشة، كانت القطع تتجول اثنتين اثنتين.

قالت أليس وهي تراقب تحركها (كانت تهمس خوفاً من أن تثير فزع القطع: «**هنا الملك الأحمر، والملكة الحمراء، وهنالك الملك الابيض والملكة البيضاء جالسين على حافة مجرفة الرّماد، وهنا قلعتان تسيران جنباً الى جنب، ولا اظن انهما تسمعانني**». انحنت اكثر فاكثر حتى اقترب رأسها من القطع وقالت: «**إني شبه متأكدة من انهم لايسمعونني. اشعر كأني بطريقة ما غير مرئية لهم**».

في هذه اللحظة شرع شيء ما يضيء حاداً وراءها على الطاولة فأدارت أليس رأسها لترى أحد البيادق البيضاء يتدحرج ويرفس فجعلت تراقبه بدهشة وعجب لمعرفة ما سيحدث.

فيما أليس تراقب، اذا الملكة البيضاء تصرخ: «**إنه صوت طفلي**» ثمّ تندفع مسرعة نحوه فتصطدم بالملك بقوة فيقع بين الجمرات الملتهبة، والملكة لاتأبه بل استمرت تصيح «**ليللي ليللي الغالية، ياجروتي الامبراطورية**».

ثمّ تحاول ان تتسلق جوانب المدفأة لتصل الى الطاولة. صاح الملك حانقاً؛ «**يا له من هراء امبراطوري**». قال وهو يفرك أنفه الذي تأذى من السقطة، ومن حقّه ان يحنق على الملكة لأنه بسقوطه بين تلك الجمرات قد اكتسى بالرماد من رأسه حتى قدميه.

رغبت أليس أن تكون ذات نفع وعون لأنّ ليللي المسكينة كانت تصرخ وتوحي بأنها تكاد تصاب بالاغماء فمدّت يدها ورفعت الملكة ووضعتها على المنضدة الصغيرة بقرب الصغيرة التي تزعق دائماً. جلست الملكة على المنضدة الصغيرة

وشهقت عالياً أن تلك الرحلة المفاجأة والانتقال السريع عبر الهواء من أرض المدفأة الى المنضدة الصغيرة قد خطفا انفاسها وفي دقيقة أو اثنتين لم تستطع شيئاً سوى ضم الصغيرة الى صدرها بصمت. وعندما استعادت روعها صاحت بالملك الابيض وكان جالساً بغيظ ظاهر بين الرماد:

«**حاذر البركان**». قال الملك وهو ينظر حوله بقلق منتصباً بين الجمرات: «**أي بركان؟**»، كأنه كان يتصور أن بركاناً يمكنه ان يخرج من بين الجذوات المتقدة أجابت الملكة وهي تلتقط انفاسها بصعوبة: «**البركان الذي قذف بي من تحت الى هنا. احذر ان يقذفك البركان، اصعد بالطريقة العادية، لاتدع البركان يقذفك كما فعل بي**».

تأملت أليس الملك يتسلق جانب المدفأة بمشقّة كبيرة وقالت بعد حين: «**هذه الرحلة ساعات وساعات اذا كنت تتقدم بهذه السرعة لن تصل الى تلك المنضدة الصغيرة إلّا بعد وقت طويل. من الأفضل أن أساعدك أليس كذلك؟**». تجاهل الملك ما قالته أليس وكان واضحاً أنه لايقدر أن يسمع ماتقول ولا يقدر أن يراها. فأمسكت به أليس بكل رقة وعناية ورفعته مبطئة أو مسرعة أقل مما فعلت بالملكة كي لاتختطف أنفاسه، وقبل أن تضعه على المنضدة الصغيرة خطر لها أن تنفض ما علق به من رماد. قالت في ما بعد:- إنها لم ترَ في حياتها وجهاً ترتسم عليه معالم الذعر كوجه ذلك الملك عندما أحسّ أنه معلق بالهواء وأن يداً خفيّة تمسك به تنفض عنه الرماد حتى لم يستطع أن يصرخ لفرط الدهشة والذعر، اتسعت عيناه وفغر فمه وتدور وجهه فلم تتمالك أليس عن الضحك وأخذت يدها تهتز وكادت تسقطه من يدها في النار مرة أخرى. رأت أليس صورة الهلع على وجه الملك فصاحت به: «**اوه، أرجوك، لاتدع ملامح وجهك تتقلص هكذا**»، وكأنما نسيت أنه لايقدر ان يسمعها أو يراها، فاستمرت: «**تجعلني اضحك حتى لا أكاد أقدر أن أمسك بك. ولا تدع فمك فاغراً هكذا فإن الرماد يتسرب الى داخله، على كل حال، أراك استعدت بعضاً من نظافتك الآن**». قالت وطفقت تمسّد شعر رأسه وتسوي ثيابه ثم وضعته جانب الملكة على المنضدة الصغيرة. لكن الملك سقط حالاً ممدداً على ظهره وبقي بلا حراك. خافت أليس من ذلك الأمر ومن عاقبة ما فعلت فدارت في الغرفة تبحث عن ماء ترشه به لعلّه يصحو فلم تجد سِوى دواة حبر وعندما عادت

وجدته قد هدأ وجلس بقرب الملكة يتجاذبان حديثاً هامساً بحيث لم يكن في مقدورها أن تلتقط منه شيئاً إلّا بعد جهد. قال الملك: «**أوكد لك يا عزيزتي أن قشعريرة الخوف قد اصابتني لهول ما جرى لي وأن رعشة البرد هزتني حتى رأس شواربي**». فردت الملكة ببرود: «**ولكن ليس لك شوارب**». فاستطرد الملك غير مبالٍ بملاحظة الملكة: «**ياالهول ما حدث، لن انسى ذلك ابداً ابداً**». قالت الملكة: «**طبعاً ستنساه اذا لم تسجله في مذكراتك**».

نظرت أليس باهتمام كبير الى الملك حين أخذ كتاب مذكرات ضخماً وطفق يدوّن فيه مذكراته. فخطر لها شيء فأمسكت بالقلم من طرفه الأعلى وكان فوق كتف الملك وراحت تحرك القلم وتكتب نيابة عنه. والملك يشد بالقلم ويقاوم حركاته، وبدا عليه الخوف والانزعاج دون أن يقول شيئاً ولكنّ أليس كانت أقوى فاستمرت بتحريك القلم برغمه فلم يجد الملك المسكين مفرّاً من الاستسلام فتنهد ثم هتف قائلاً:

«**ياعزيزتي، يجب أن استعمل قلماً أدقّ وأخفّ، لا استطيع أن أسيطر على هذا القلم واكتب به كما أريد. أنه يكتب أشياء غريبة بحيث لم أعد. . .**»، قاطعته الملكة سائلة: «**أية أشياء غريبة؟**» ثم تقدمت ونظرت ماسطر على صفحة المذكرات (وكانت أليس بتحريكها القلم كتبت: «**الفارس الأبيض ينزلق على قضيب النار. إنه عاجز عن حفظ توازنه**»، فقالت الملكة: «**هذه ليست مذكرات لمشاعرك وأفكارك أنت**».

كان على المنضدة الصغيرة قرب أليس كتاب، في حين كانت هي جالسة تراقب الملك الأبيض (ولا تزال قلقة لأجله واحتفظت بدواة الحبر لترشه بها اذا أغمي عليه ثانية) جعلت تقلب صفحات الكتاب لعلّها تجد ما تقرأه وهي تسائل نفسها: «**إنه مكتوب بلغةٍ ما فلا أعرف شيئاً عما فيه** (ذلك لأن الكتابة في عالم المرآة كانت مقلوبة). وأخيراً تذكرت بأعمالها الفكر وصاحت: «**اوه إنه كتاب من عالم المرآة. بالطبع اذا رفعته امام مرآة تبدو الكتابة مقلوبة هنا وتبدو لي صحيحة أي في الاتجاه الذي انا متعودة إياه**»، وفعلت فتبين لها أن في الكتاب قصيدة عن حرب، إنما لغتها غريبة بحيث لم تفهم منها شيئاً. قالت أليس: «**يبدو لي أنها قصيدة جميلة، ولكنها عسيرة على الفهم قليلاً**. (تلاحظ أن أليس لاتريد الاعتراف حتى لنفسها بأنها لم

تفقـه شيئـاً ممـا قرأت) واستطـردت : «**كأنهـا تملأ رأسي بكـل أنـواع الافكار ولكني لاأستطيع أن اميّز تماماً ماهي. يبدو على أي حال أن شخصاً ماقتل شيئاً ما**».

وفجأة تنبهت أليس فقفـزت مسـرعة تقول : «**اوه، اذا لم استعجل اضطررت أن أعـود الى غرفتي قبـل أن يتـاح لي رؤيـة بقيـة أقسام المنزل الذي دخلت اليه خلال المرآة. فلأذهب وألقِ نظرة على الحديقة أولاً**».

خرجت من الغرفة مسرعة وهبطت سلّم الدرج راكضة، ربما لم يكن ذلك ركضاً بل ابتداع جديد للنزول على الدرج في سرعة وسهولة كما تصورت أليس، فكانت تلامس برؤوس أصـابعهـا الحـاجـز الـواقي ثم تطير في الهواء ولا تضع قدميها على درجات السلّم. وهكذا ظلت طائرة عبر القاعة على وشك أن تنطلق الى الخارج من البـاب الـواسـع لولم تسـارع الى التمسـك بعمود الباب. شعرت بالدوار وهي تطير هكذا وابتهجت إذ أمسكت بعمود الباب لأنها عادت تسير على الأرض طبيعية.

الفصل الثاني

الحديقة ذات الازهار الحية



نظرت أليس حولها وقالت: «سأرى الحديقة أفضل لو صعدت قمّة تلك التلّة، على الأقل الطريق اليها مستقيم» كلا، أنها ليست كذلك (اذ قطعت امتاراً في الطريق ودارت حول بضع زوايا حادة) ولكن افترض أنها تؤدي الى قمة التلة اخيراً. ياللعجب كيف تلتف الطريق وتدور هكذا، انها أشبه بمفتاح السدادات الحلزوني منها بطريق. على كل حال، هذه الدورة تقودني الى التلة ولكن لا، اعتقد أنها لا، هذه تعود بي مباشرة الى البيت، إذن اجرب الاتجاه الآخر.

هكذا لبثت أليس تدور وتدور صعوداً ونزولاً، ذهاباً واياباً دورة وأخرى وكل مرة تجد نفسها تعود الى البيت مهما حاولت أن تتجنبه. والواقع أنه قد حدثت لها مرة أن دارت حول إحدى الزوايا مسرعة فارتطمت بالبيت قبل أن تتمكن من تحاشي الارتطام.

أخيراً، وقفت أليس تنظر الى البيت وتتصور أنه يجادلها فقالت له: «**لاجدوى من التحدث، لم ادخلك بعد. أنا اعرف أنه سيتحتم عليّ أن اعبر من خلال المرآة ثانية عائدة الى تلك الغرفة القديمة، فتصل كلّ مغامراتي الى نهايتها**».

ادارت ظهرها للبيت مصممة مصرة وانطلقت في تلك الطريق عازمة السير خطاً مستقيماً حتى رأس التلة. كل شيء جرى حسناً في البدء وحين أوشكت أن تقول لنفسها: «**يبدو أني سأنجح هذه المرة**»، رأت الطريق تلتف فجأة وتهز نفسها منتفضة (كما وصفت أليس ذلك فيما بعد) واذا هي تخطو نحو باب البيت. صاحت أليس: «**آه يالسوء هذا... لم أرَ في حياتي بيتاً يعترض طريق السائرين كمثل هذا البيت**».

برغم كل ذلك كانت التلة امام نظرها ولم تجد أليس بداً من أن تبدأ السير، لكنها هذه المرة عثرت على حوض من الازهار والأقحوان على هيأة طوق حوله وفي وسطه تنتصب شجرة الصفصاف. نظرت أليس الى زهرة من الزنبق المخطط وقالت لها: «**آه أيتها الزهرة الجميلة، كم اتمنى لو كنت تستطيعين الكلام من أجل أن نتحدث**». كانت الزهرة تتمايل مع النسيم برشاقة ورقّةٍ، فأجابت: «**إننا نستطيع الكلام اذا وجدنا محدثاً يستحق**». دهشت أليس لصوت الزهرة، وبقيت صامتة وهلة من فرط تعجبها. أخيراً، لمّا لبثت الزنبقة تتمايل في غواية، تكلمت أليس وقالت بصوت حيي، كأنّه الهمس: «**أكلّ الأزهار تقدر أن تتكلم؟**». ردت الزنبقة مؤكدة: «**كما تقدرين أنت، بل بصوت أعلى من صوتك كثيراً**».

تدخلت وردة في الحديث: «**ليس من اللائق أن نبدأ نحن الكلامَ، كنت أتساءل متى تبدأين بمخاطبتنا، وكنت أقول لنفسي «إن وجهها يحمل بعض المعنى وإن كان لايوحي بالمهارة**»، وبرغم ذلك لونك هو اللون الصحيح وهذا يساعدك كثيراً».

قالت الزنبقة: «**لااهتم باللون، فقط لو كانت تويجاتها قليلاً الى أعلى، لكان شكلها أفضل**». لم يعجب أليس أن تقف هناك وتصغي الى الزهرات تتفحصها وتنتقد شكلها فأخذت تطرح الاسئلة فقالت: «**ألا يخيفكن أحياناً أنهم يزرعونكن هنا ولا يبقى أحد للاهتمام بكنّ، أيتها الزهرات؟**».

قالت الوردة: «**هنا ترين تلك الصفصافة، وما نفعها إذن**»؟

سألت أليس: «**وماذا في وسعها أن تفعل اذا هددكن خطر؟**».

قالت الوردة: «**يمكنها أن تنبح**» - علقت زهرة ألاقحوان: «**نعم انها تنبح كالجراء الصغيرة**». وقالت اقحوانة: «**أما كنت تعرفين؟**». واخذت الازهار كلها تصيح في آنٍ بأصوات حادة حتى ضجّ المكان واذا الزنبقة تصيح: «**سكوتاً، كلّ واحدة منكنّ**» وكانت تهتز وتتمايل من جانب الى جانب في غضب وترتجف ثمّ قالت وهي تلوي رأسها الى جهة أليس: «**هذه الزهرات تعرف أنني لااستطيع أن أصل اليها لكي أؤدّبها، وإلاّ لما كانت تجرؤ أن تفعل مافعلت**». قالت أليس للزنبقة مواسية: «**لاتقلقي وتزعجي نفسك،**»، **ثم انحنت نحو الاقحوانات التي كانت على وشك استئناف الصراخ وقالت**: «**إذا لم تحفظ كل واحدة منكن لسانها، فسأقطفكن اقحوانة فأخرى**». ساد الصمت حالاً عندما سمعت الزهرات تهديد أليس حتى أن بعضها شحبت وبدت كأنها بيضاء.

تنهدت الزنبقة بارتياح وقالت: «**هذا أفضل، الاقحوانات أسوأ الازهار عندما تبدأ إحداها بالكلام تأخذ الأخريات بالحديث جميعها في آن، وهذا مزعج إلى درجة تجعل المرء يذبل ويذوي**».

قالت أليس برقة وهي ترجو أن تسري الزنبقة عن بعض غضبها بالمديح: «**كيف يتسنى لكنَّ أن تتكلمن بمثل هذه الأصوات الجميلة؟** زرت حدائق كثيرة من قبل **ولم أعثر على زهرة تستطيع ان تتكلم مثلكن؟**».

قالت الزنبقة: «**انحني والمسي التراب بيدِك وعندئذ تعرفين لماذا نحن نتكلم**».

انحنت أليس ولمست الارض ثم قالت: «**إنها صلبة جداً ولكن لاأرى ماعلاقة هذا بقدرتكن على الكلام**». هنا قالت الزنبقة: «**في معظم الاحواض، يجعلون التربة رخوة الى درجة كبيرة فتقضي الأزهار كل وقتها في النوم**». سرّت أليس بهذا القول وعدّته تفسيراً معقولاً جداً فقالت: «**لم أفكر في ذلك قط من قبل**». وإذا بوردة تقول بلهجة قاسية رعناء: «**يبدو لي إنك لاتفكرين على الاطلاق**». فجأة انتفضت أليس جفلاً عندما سمعت بنفسجة لم تتكلم من قبل تقول: «**أنا لم أرَ من قبلٍ قط شخصاً أسخف منك**». نهرتها الزنبقة بقسوة: «**اصمتي، لم تري أحداً؟ هه كأنك تستطيعين أن تري أحداً وأنت تخبئين رأسك تحت الأوراق وتشخرين طوال الوقت بحيث لاتعرفين مايجري في هذا العالم كأنك برعم في هذا الحوض**».

أحبت أليس أن تغيّر الحديث فقالت متجاهلة ملاحظة الوردة: «**هل هناك أشخاص سواي في هذه الحديقة؟**». ردت الوردة: «**هنالك زهرة أخرى غيرك تستطيع أن تسير وتنتقل مثلك وأنا أعجب كيف تستطيعون أن تفعلوا ذلك**». (علقت الزنبقة على قول الوردة ساخرة) «**إنك دائماً تتعجبين**» ولكن الوردة

استمرت: «**إنما تلك الزهرة لها شعر أكثف من شعرك**» دهشت أليس وقالت بلهفة عندما خطر ببالها أن فتاة أخرى مثلها يمكن أن تكون هناك: «**هل هي مثلي تماماً؟**» أجابت الوردة: «**إنّ لها شكلك الغريب إياه ولكنها حمراء أكثر منك كما أن تويجاتها أقصر على ما أعتقد**». تدخلت الزنبقة: «**إن تويجاتها مقصوصة بحيث أصبحت تشبه زهرة الاضالية أعني أن تويجاتها لاتتهدل حولها كما نرى عندك**» علقت الوردة على هذا كأنها تواسي أليس: «**ولكن لايدَ لك، بدأت تذبلين وعلى أي حال لايستطيع المرء أن يمنع تويجاته من أن تذوي بعد حين**».

لم يعجب هذا التعليق أليس ولكنها أحبت تغيير الموضوع فقالت: «**هل تخرج تلك الى هذا المكان غالباً؟**». أجابت الوردة: «**اعتقد أنك سترينها في الحال أنها واحدة من تلك الزهرات الشائكة**». سألت أليس بفضول: «**شائكة؟ وأين تنبت الاشواك؟**» قالت الوردة: «**حول رأسها بالطبع وأنا كنت أعجب لماذا ليس لك أشواك حول رأسك أيضاً اذا صح ظني في أن تلك هي القاعدة في امثالكن**».

صاحت إحدى الزهرات: «**هاهي قادمة إني أسمع وقع خطاها على حصى الممر، ألا تسمعونه توب، توب، توب؟**». **نظرت أليس حولها بلهفة وإذا القادم** الملكة الحمراء، وأول ماخطر ببالها أنها كبرت كثيراً **وكان هذا صحيحاً إذ لما عثرت** عليها أليس أول مرة بين رماد المدفأة كان طولها نحو **عشرة سنتمترات في حين انها** الآن تزيد عن طول أليس نفسها نحو نصف رأسها. قالت الوردة: «**إن الهواء النقي هو الذي يفعل ذلك، وهنا الهواء نقي منعش الى اقصى حد**». قالت أليس لنفسها: «**سأذهب للقائها برغم أن الازهار كانت لطيفة ومثيرة للاهتمام فإن الاجتماع والحديث مع ملكة حقيقية أمتع بلا جدل**». لكن الوردة التي فهمت ما يجول في رأس أليس قالت: «**لا انصحك بذلك، من الأفضل لك أن تذهبي في الاتجاه الآخر**».

بدا هذا القول سخيفاً لأليس فلم تجب بشيء بل سارت حالاً نحو الملكة

الحمـراء وكـانت دهشتهـا عظيمة عندما تبين لها أن لا اثر يرى للملكة التي يبدو أنها توارت ووجدت أليس نفسها تسير مباشرة نحو باب البيت أيضاً.

حنقت أليس فتـراجعت الى وراء وأخـذت تبحث عن الملكـة (التي لاحت في مكـان بعيـد فقـررت أن تسيـر وفق تخطيـط جديـد أي أن تنطلق دائمـاً في الاتجاه المعكوس. نجحت الخطة على نحو عجيب فلم تمشِ أكثر من دقيقة حتى وجدت نفسهـا امـام الملكـة الحمـراء وبـدتْ التلة لعينيها فأخذت ترنو اليها من بعيد وتجدّ السير نحوها دون جدوى.

وجهت الملكة الحمراء السؤال الى أليس: «**من أين أتيت وأي مكان تقصدين؟ تكلمي حالاً وبلهجـة مهـذبة، ولا تتلاعبي باصابعك طوال الوقت**». أطاعت أليس ذلـك التـوجيه الملكي وأوضحت موقفها بالقول إنها ضلت طريقها. قالت الملكة: «**لا افهم ماذا تعنين بكلمة (طريقك) فكل الطرق في هذا المكان ملكي أنا. ولكن لمـاذا جئت الى هنـا. على أيـة حال؟**»، ثم استطـردت قائلة بشيء من اللطف: «**انحني وقـدمي علامـة الاحتـرام لي فيمـا أنت تفكـرين وبهـذا توفـرين الوقت**». عجبت أليس ولكنهـا كانت في وجـل من الملكة بحيث لم تقدر أن لاتصدق وقالت في نفسها: «**سأجرب ذلك عندما أعود الى بيتي، أي في المرة التالية حين أتأخر عن موعـد الغـداء**». كانت الملكـة تراقبها فقالت لها: «**حان الوقت لكي تجيبي الآن، افتحي فمك أوسع قليلاً عندما تتكلمين قولي دائماً «يا صاحبة الجلالة**».

تلعثمت أليس: «**اردت فقط ان ارى هذه الحديقة يا صاحبة الجلالة**».

ربتت الملكـة على رأس أليس وهي تقـول: «**لابأس ولكني مع ذلك اعجب من قولـك (حـديقـة)، رأيت حدائق كثيـرة لو قيس هذا المكان بها لبدا كأنه غابة**». لم تجـرؤ أليس على معـارضـة هذا القـول ولكنهـا استمرت في حديثها «. . . **وكذلك حاولت ان اسيـر في الطريق التي تؤدي الى رأس التلة**». قاطعتهـا الملكـة قائلة: «**تقولين (تلة) ولكني استطيع أن اريك تلالاً لو قيست هذه بها لبدت لك كأنها وادٍ سحيق**». صاحت أليس وهي تعجب من جرأتهـا في معـارضـة الملكـة: «**كـلا، لايمكن أن اسمي هذه التلة واديـاً، فالتلة لايمكن أن تصبـح واديـاً، ذلـك قول هراء. . . سخيف**».

قالت الملكة: «**يمكنك أن تسمي هذا سخفاً اذا شئت، ولكني سمعت سخفاً لو**

قيس هذا به لبـدا لك أنـه معقـول اكثر من كلام المعجم» . انحنت أليس تحيي الملكـة باحتـرام وخشيت أن تعـارض قولهـا هذا ايضاً لئلا تستاء منها ثم سارت الى جانب الملكة دون كلام الى أن بلغتا رأس التلة .

مرت دقـائق التـزمت أليس فيها الصمت التام واكتفت بأن أجالت بصرها في كل الجهات متأملة تلك الأرجاء الواسعة - كانت تلك الارض عجيبة حقاً . هنالك عدد من الجـداول يقطـع الارض من جانب الى آخـر والسهـل فيهـا مقطـع على شكـل مربعات تحيط بها سياجات خضراء تمتد من جدول الى آخر .

قالت أليس : **«يبدو لي أن هذا السهل مقطع على هيأة رقعة شطرنج كبيرة . . يجب أن يكون فيه إذن عدد من الرجال بمثابة احجار الشطرنج يتنقلون فوقه»** .

ثم قالت بجذل : **«ها هم الرجال ، إنهم هناك»** ، وقد أخذ قلبها يدق مسرعاً من فرط ابتهاجها ثم صاحت : **«انها لعبة شطرنج هائلة واللعبة جارية تشمل العالم بأسره - اذا كان هذا هو العالم كله - فيا لها من لعبة . . . كم اتمنى لو كنت إحدى القطع في هذا الشطرنج العظيم . مهما كنت ، بيدقاً أو غيره فكل ما يهمني ان اشارك في اللعبة - وبالطبع أفضل لو استطيع أن أكون الملكة . . .»** .

نظـرت بحيـاء الى الملكـة الحقيقيـة وهي تقول هذا ولكن الملكة ابتسمت فقط بارتياح وعلقت على ملاحظة أليس بقولها : **«يمكننا تدبير ذلك بسهولة . يمكنك أن تكـوني بيـدق الملكـة البيضـاء لأن ليللي صغيرة السن جداً ولا تستطيع أن تلعب . وأنت الآن في المـربـع الثاني ، في البداية ، وعندما تبلغين المربع الثامن تصبحين ملكـة حسب اصـول اللعبـة»** . في هذه اللحظة ، لسبب ما ، اخذت الملكة وأليس تعـدوان . عنـدمـا فكـرت أليس في الأمـر فيما بعد لم تتمكن من فهم السبب الذي جعلهـا تركض مع الملكـة ولا كيف بدأتـا بالـركض . كل ما تتـذكـره أنهمـا اخـذتا تركضان يداً بيد والملكة فائقة السرعة بحيث أن أليس بذلت كل جهد للعدو مسرعة لتبقى الى جانبهـا والملكـة تحضّهـا دائمـاً وتصيح : **«أسرعي ، أسرعي ،»** ولم يكن يسـع أليس أن تركض أسـرع ممـا تفعـل ، ولم تكن قادرة حتى على التقاط أنفاسها لتخبر الملكة بذلك .

والغريب وربما هذا أغرب شيء يمكنه أن يحدث ، أن الأشجار والأشياء حولهما لم تبـدل أمكنتهـا على الاطـلاق وبـرغم سرعـة ركضهما لم تكونا تمران بأي جديد

وبقي كل شيء على حاله فقالت أليس متسائلة: «**ياللعجب أيمكن أن تكون هذه الأشياء تركض معنا أيضاً؟**». وكأن الملكة أدركت ما في خاطر أليس فقالت لها: «**أسرعي، لاتحاولي أن تقولي حرفاً**».

لم تكن أليس تفكر في ان تقول شيئاً لأنها كانت تشعر بالعجز عن قول أي شيء ولعلها كانت عاجزة عن النطق فقد كانت مخطوفة الأنفاس.

وبرغم هذا ظلت الملكة تهيب بها أن تعدو: «**اسرعي، اسرعي... اركضي**»، وتجرّ أليس في ركضها. وأخيراً قالت أليس وهي تلهث: «**هل اقتربنا من المكان الذي نقصد؟**». ردت الملكة: «**تقريباً هناك، ولكن لماذا تسألين؟ عبرنا المكان منذ عشر دقائق، اسرعي**». واستمرتا بالركض دون كلام حين كانت الريح تصفر في أذني أليس حتى أنها تصورت أن الريح ستقتلع شعرها من رأسها.

صرخت الملكة: «**الآن، الآن، اسرعي، اسرعي**». وتابعتا الركض السريع حتى خيل الى أليس أنهما تطيران فوق سطح الارض ولا تلامس أقدامهما وجه التراب، وفجأة، حين أصبحت أليس منهكة تماماً وفي إعياء، توقفتا، شعرت أليس بأنها جالسة على الارض تحاول التنفس ورأسها يدور. رفعت الملكة أليس واسندت رأسها الى جذع شجرة وهي تقول لها بلطف: «**استريحي قليلاً الآن**».

نظرت أليس حولها باستغراب وقالت: «**ياللعجب اشعر أننا كنا تحت هذه الشجرة طوال الوقت ولم نبرح المكان قط وكل ما هنا يبدو كأنه بقي في مكانه...**»، فأجابت الملكة: «**طبعاً كل شيء في مكانه وهل كنت تنتظرين غير ذلك؟**»

قالت أليس: «**في بلادنا، على العموم، من أجل أن تبلغي مكاناً ما، عندما تركضين بسرعة عالية كما كنا نفعل ولمدة طويلة من الزمن...**»، قاطعتها الملكة معترضة: «**إنها بلاد من النوع البطيء هنا، كما ترين، عليك أن تركضي بأقصى سرعة لتظلي في مكانك. واذا كنت ترغبين في الانتقال الى مكان آخر عليك أن تركضي مسرعة ضعف السرعة التي كانت لنا**».

صاحت أليس: «**أرجوك، لا اريد أن أجربها، إني قانعة تماماً بالبقاء حيث أنا الآن، فقط اشكو من التعب والظمأ**». قالت الملكة بلهجة طبيعية: «**آه، إني أعرف ماتحتاجين اليه في هذه الحالة**»، أخرجت من جيبها علبة من البسكوت واردفت: «**خذي قطعة**». لم تشأ أليس أن ترفضها لاعتقادها أنه غير لائق ولكن ما عرضته

الملكـة كان آخـر مايمكن ان تشتهيـه وهي على تلك الحـال فأخذت قطعة وغالبت نفسهـا، فأكلتهـا وبلعتهـا، وزاد ذلـك من جفـاف حلقها فصارت كأنها على وشك الاختناق. لم تحس قط بالغصص الذي أحست به حينذاك.

قالت الملكـة: «**عليـك ان تستعيـدي نشاطك وتستريحي، أما أنا فسآخذ بعض القياسات**»، ثم أخرجت من جيبها شريطاً طويلاً مرقماً بالسنتمترات وراحت تقيس الارض وتغرز فيها اوتاداً صغيرة هنا وهناك. ثم استطردت: «**في نهاية مسافة المترين سوف اعطيك التعليمات اللازمة لك**»، ولما غرزت وتداً عند تلك المسافة قالت: «**هل تأخذين قطعة بسكوت أخرى**».

قالت أليس حالاً: «**كـلا، شكـراً لك، قطعـة واحـدة تكفي تمـامـاً**». سألت الملكة: «**هل أطفأت ظمأك؟**» لم تعرف أليس مايمكنها ان تقول رداً على مثل هذا السؤال ولكن لحسن الحظ لم تنتظر الملكة جواباً بل استطردت: «**عند مسافة ثلاثة امتار سأعيد عليك التعليمات فقد تكونين قد نسيتها، عند نهاية اربعة امتار سأقول لك وداعاً، وعند نهاية خمسة امتار سأذهب**».

كانت الملكة قد أنهت غرز الاوتاد وظلت أليس تنظر اليها باهتمام وفضول فرأتها تعود نحو الشجرة ثم تتهادى في مشيها على مهل متتبعة صفوف المربعات المرسومة على الارض وعندما بلغت وتد مسافة المترين استدارت لتواجه أليس ثم قالت: «**أن البيـدق ينتقـل مربعين في الحـركـة الأولى كمـا تعلمين. لذلـك ستنطلقين مسرعة خلال المـربـع الثـالث أي بالقطـار. هكذا ستبلغين المربع الرابع بسرعة فائقة. ذلـك المـربـع يخص تويـد لدام وتـويـد لدي - المـربـع الخامس مليء بالماء أما السـادس فأنـه يخص هامبتي دامبتي -، ولكنـك لاتبـدين أيـة ملاحظة**». تلعثمت أليس وهي تقول: «**أنا، اني لم افكر في ابداء ملاحظات**».

استمـرت الملكـة بحـديثها الذي أخذ ينمّ منه نوع من التوبيخ: «**كان عليك ان تقـولي، مثـلاً، كان يجـدر بك ان تقـولي لقـد تلطفت كثيـراً يا صاحبة الجلالة في اعطـائي كل هذه المعلومـات، ولكن لابأس، سنفتـرض أنك قلتِها - الآن المربع السـابـع مغطى كلّه بالاشجـار، إنّـه غابة، وهناك أحد الفرسان يدلك على الطريق وفي المربع الثامن، سنصبح أنا وأنت ملكَتين ونحتفل بالولائم والابتهاج واللّهو**».

نهضت أليس وانحنت تحية للملكة ثم جلست مكانها. عندما بلغت الوتد التالي استـدارت الملكـة وقـالت باللغـة الفرنسية: «**تكلمي بالفرنسية عندما تعجزين عن**

التفكير بالانكليزية - ارفعي اصابع قدميك الى أعلى - وتذكري من أنت». ولم تنتظر من أليس ان تجيبها هذه المرة بل انطلقت مسرعة الى الوتد التالي حيث استدارت لحظة لتقول «**وداعاً**»، ثم اسرعت ناحية الوتد الأخير.

كيف حدث ما جرى بعدئذٍ؟ لم تستطع أليس أن تعرف، لأن الملكة ما كادت تبلغ الوتد الأخير حتى اختفت. لم تكن أليس قادرة على الادراك، هل تلاشت الملكة في الهواء ام اسرعت راكضة وتوارت في الغابة؟ (قالت أليس في نفسها «**إنها تركض بسرعة مدهشة**»). ومهما يكن فإنها اختفت وزالت ورجعت أليس الى نفسها لتتذكر أنها الآن بيدق على رقعة الشطرنج، وعما قريب سيحين الوقت لتتحرك كما تتحرك البيادق.

الفصل الثالث

حشرات عالم المرآة

أول ما كان على أليس هو القاء نظرة شاملة على الارض التي تحيط بها وسيكون عليها أن تعبرها بعد ذلك بوقت وجيز. قالت لنفسها: «**هذا شبيه تماماً بدراسة الجغرافيا**»، ثم وقفت على اطراف قدميها مشرئبة لكي يتسنى لها أن ترى بقعة أوسع. وتابعت المناجاة: «**ليس هناك انهار رئيسة ولا جبال رئيسة سوى هذا الذي أقف عليه واعتقد أن لا اسم له. أما المدن الرئيسة - آه، ما هذه المخلوقات التي تصنع العسل هناك؟ ليست نحلاً قطعاً. هل يمكن لأحدٍ أن يرى نحلة عن بُعد ميل؟**»، كانت تتساءل صامتة وهي تراقب تلك المخلوقات التي تنتقل من زهرة الى أخرى لتمد خراطيمها بين التويجات فتمتص رحيقها كما تفعل النحلة العادية.

تلك المخلوقات لم تكن أي نوع من النحل على الاطلاق، لم تكن سوى افيال (الفيل إحدى قطع الشطرنج) وعندما اكتشفت أليس هذه الحقيقة غمرتها الدهشة

حتى احست بأنفاسها قد خطفت في الوهلة الاولى. اول أمر خطر في ذهن أليس كان يبحث عن تلك الحقيقة: «**أية زهرة جبارة يجب ان تكون تلك التي تمتص منها الأفيال رحيقها. ثم أية زهرة هي التي تبدو كأنها كوخ انتزع سقفه لكبر حجمها وكم هي مقادير العسل التي تجنى من مثل هذه؟**». وقفت لاتدري ماذا تفعل وقالت: «**اظن أن من الأوفق أن اقترب منها لأتبين الأمر، ولكن لا. لن أفعل ذلك الآن. . .**». ترددت وهي تحاول أن تقاوم تلك الرغبة في الاقتراب من الافيال والزهرات الكبيرة ثم اخذت تناجي نفسها كأنها تسوغ لنفسها عذراً من أجل أن تغير ذلك الرأي، قالت: «**كلا، يجدر بي ان لا انزل ابداً مابينها قبل أن احصل على غصن كبير أهش به تلك المخلوقات. وغداً عندما يسألونني هل سرتني الرحلة اقول لهم**: «**اوه، سررت بها جداً**» (وهنا حركت رأسها بالطريقة المعهودة لترفع شعرها المتدلي) واستمرت: «**انما كانت الارض مغطاة بطبقة كثيفة من الغبار وكان الطقس حاراً، والأفيال تحاول ان تلاعبني بخشونة . . .**».

تلفتت أليس بوجهها من جهة الى أخرى وقالت: «**سأنزل من هذه الجهة ولعلّني اعود مرةً لزيارة الأفيال. فوق ذلك، انا متشوقة للانتقال الى المربع الثالث. . .**».

اختلقت لنفسها عذراً ثم ركضت هابطة منحدر التلة وقفزت فوق أول جدول من الجداول الستة الصغيرة في طريقها.

*

نظر حارس المحطة الى الجمهور المحتشد من النافذة وصاح: «**بطاقتكم من فضلكم**». حالاً اخرج جميع الأفراد بطاقاتهم وكانوا يشكلون جمهوراً من المخلوقات ذات حجم كحجم الناس العاديين يملؤون عربة القطار.

التفت بعدئذ الى أليس وقال لها: «**والآن بطاقتك ايتها الطفلة**».

كان ينظر اليها شزراً وعلائم الغضب على وجهه فلم تحر أليس جواباً واذا الجمهور المحيط بها يصيح بصوت واحدٍ (فكرت أليس أنه يشبه صوت جوقة التراتيل): «**لاتدعيه ينتظر ايتها الطفلة، وقته ثمين جداً، كل دقيقة من وقته ثمنها عشرة الاف ليرة. . .**». تلعثمت أليس وهي تقول: «**آسفة سيدي، فليس معي بطاقة**» (وكانت خائفة من الجو «**فلا مكتب لقطع التذاكر حيث جئت**». هب الجمهور صائحاً أيضاً: «**لم يكن من متسع لغرفة مكتب حيث جاءت لأن سعر**

الارض عشرة الاف ليرة لكل سنتمتر مربع». صاح الحارس حانقاً: **«لاتقدموا اعذاراً»**، والتفت الى أليس: **«كان يجب ان تشتري بطاقة من سائق القطار»**. وهب الجمهور صائحاً بصوت واحد: **«الرجل الذي يقود القطار؟ كيف، كل نفخة من دخان قطاره تكلف عشرة آلاف ليرة»**.

قالت أليس لنفسها: **«لاجدوى من الكلام هنا،»**. هذه المرة لم تصدر عن الجمهور الصيحة المعتادة فلم تلفظ مافكرت فيه بصوت عال ولكن كانت دهشتها بالغة عندما «فكر» الجمهور تفكيراً جماهيرياً (أرجو أن تكون قادراً على فهم ماهية التفكير الجماهيري - لأني اعترف بأني لاأقدر أن افهم ذلك) وكان: **«من الأفضل لك أن لاتتكلمي ابداً لأن اللغة ثمينة جداً وكل كلمة منها تكلف عشرة آلاف ليرة»**.

قالت أليس لنفسها: **«بكل تأكيد ستساورني في حلمي الليلة هذه العشرة آلاف ليرة»**. في هذه الوقت كان حارس القطار ينظر إلى أليس متفحصاً أولاً من خلال المنظار المكبر الذي يستعمل في الرصد الجوي (التلسكوب) ثم من المجهر (الميكروسكوب) ليراها بكل دقة واخيراً من المنظار العادي الذي يستعمل في الاوبرا. وأنهى مراقبته لها وقال: **«إنك تسافرين في الاتجاه المعاكس»**. وأقفل النافذة ومضى.

سار القطار واذا الرجل الذي يجلس في المقعد المقابل لها ويرتدي ثياباً من ورق يقول: **«طفلة صغيرة كهذه يجب أن تعرف في أي اتجاه ذاهبة هي حتى لو لم تكن تعرف اسمها»**.

عنزة تجلس في جوار هذا الرجل الذي تكلم صاحت بصوت عال مغمضة عينيها: **«يجب أن تعرف الطريق الى مكتب قطع التذاكر حتى لو لم تكن تعرف أي حرف من الابجدية»** خنفساء تجلس في جوار العنزة (كانت عربة القطار تلك مليئة بخليط عجيب من المسافرين ويبدو أن القاعدة المتبعة أن يتكلم كل مسافر بدوره) قالت: **«سيكون عليها أن تعود من هنا في عربة الشحن بصفتها من المشحونات»**.

لم تستطع أليس أن تتبين من يجلس الى جوار الخنفساء ولكنها سمعت صوتاً خشناً يقول: **«يجب تبديل القطار»**. وغصّ واختنق صوته فتوقف عن الكلام. قالت أليس في نفسها: **«إنه يشبه صوت حصان»**. لكن صوتاً رفيعاً تعالى من جانبها، على مقربة من أذنها: **يمكنك ان تهزأي وان تسجعي الكلام فتقولي «صوت أجش**

كصوت الجحش. . . مثلاً». في تلك اللحظة سُمع صوت لطيف من بعيد: «إنها فتــاة خطــرة، اذا شحنت يجب ان تلصق فوقهـا ورقـة يكتب عليهـا (فتـاة، انقلوا الصندوق بعناية).

اخذ كل من الركاب يتكلم على هواه (بينما أليس تفكر قائلة؛ «كم عدد الركاب في هذه العربة؟») وكانوا يقولون: «يجب أن يرسلوا هذه الفتاة بالبريد»، «بل يجب ارسـالهـا برقيـاً». واخيراً قال أحدهم: «يجب عليها أن تجر القطار من هنا الى آخر الطريق» وهكذا. ثم انحنى الرجل الذي يرتدي ثياباً من ورق نحو أليس وقال لها: «لاتبـالي يا صغيـرتي بكـل ما يقولون، ولكني انصح لك أن تشتري بطاقة عودة في كل محطة للقطار». ردت على همس الرجل بعصبية قائلة: «الواقع إني لن اشتري أية بطاقة. فأني لست من ركاب هذا القطار، وليس لي يد في ذهابي هذه الرحلة، كنت منـذ قليـل في الغـابـة واني لأود أن ارجـع الى هناك دون ابطاء». وتعالى ذاك الصـوت المـازح ثانية وقال بنغمته الرفيعة: «يمكنك أن تهزأي أيضاً وتقولي بطريقة السجـع «كنت اعـود بالقطـار السريع لو استطيع». نظرت أليس حولها لترى مصدر الصوت فلم تر فقالت: «مزاحك ثقيل، واذا كنت ترغب في السجع فلماذا لاتسجع أنت؟. . . .».

سمعت أليس تنهـدة عميقـة من مصدر الصوت دلت على أن المتكلم كان تعساً جداً ففكـرت أنـه يبـدو متألمـاً وأحبت أن تقـول شيئاً لتسري عنه وتخفف من ألمه. ولكن التنهـدة رغم عمقهـا كانت خافتة وصغيرة بشكل عجيب وما كانت لتسمعها لو لم يأتِ الصـوت من مكـان قريب من أذنهـا. تكلم الصـوت أيضاً: «انا أعرف أنك صديقة لي، صديقة عزيزة وقديمة وأعرف أنك لن تؤذيني برغم أني حشرة». كانت الـحشـرة على أذن ألـيس فشعـرت بوخـزهـا الخفيف فقـالـت: «أيّ نوع من الحشـرات؟». ودت لو تستطيـع أن تسألهـا هل أنت من النـوع الـذي يلسع أم لا؟ ولكنهـا تصـورت أن ليس من الليـاقـة ان تسأل مثل هذا السؤال، فتساءل الصوت: «ماذا؟ ألا تعرفين. . . .». وتعالى صفير القاطرة الحاد فلم تسمع أليس شيئاً مما قاله الصـوت وقفـز الـركـاب جميعهم وأليس بينهم مذعورين. أخرج الحصان رأسه من النافذة ثم استدار نحو الركاب ليقول مطمئناً: «لاشيء، جدول صغير نقفز فوقه». استقـر الجميـع في امـاكنهم ثانية وأليس قلقة وهي تفكر كيف يمكن للقطار أن يقفز

فوق الجدول، اذ لم تسمع قبلاً أن القطارات تقفز فوق الانهار فقالت لنفسها: «**مهما يكن فإننا سنعبر الى المربع الرابع وفي هذا ما يريحني**». ولم تكد تصل الى هذه الفكرة حتى شعرت بأن القطار يرتفع في الهواء ويهتز فذعرت وحاولت أن تمسك بأي شيء في متناول يدها واذا هي تمسك بلحية تيس يجلس بين المجموعة من الركاب.

تلاشت لحية التيس في يد أليس وفتحت عينيها كأنها كانت في حلم فاذا بها جالسة تحت شجرة والبعوضة (وهي الحشرة التي كانت تكلمها) واقفة على غصن قريب. نظرت أليس الى البعوضة متعجبة فقد كان حجمها حجم دجاجة. لم تهتم أليس بكبر البعوضة ولم تخشَ شرّاً منها فقد كانت تحادثها منذ قليل واستطردت البعوضة: «**إذن، أنت لاتحبين الحشرات؟**». قالت أليس: «**بل أحبها عندما تكون قادرة على الكلام فحيث أنا لاتتكلم الحشرات ابداً**». قالت البعوضة: «**كيف تطيقون مثل تلك الحشرات؟ اعني الحشرات التي تجدونها حيث كنت؟**» قالت أليس: «**اني لااطيق الحشرات ابداً، ولا سيما الكبيرة، بل أخافها كلها، رغم ذلك استطيع أن أعدد لك اسماء بعضها اذا شئت**».

سألت البعوضة: «**طبعاً اذا ذكرت اسماءها تستجيب لك**». قالت أليس: «**لم اسمع في حياتي أن الحشرات تستجيب للنداء**». قالت البعوضة: «**إذن ما الفائدة من اعطائها اسماء اذا لم تكن قادرة على الاستجابة عندما تدعى؟**». فكرت أليس قليلاً ثم قالت: «**لا اظن ان في الاسماء فائدة للحشرات نفسها ولكن اعطاءها الاسماء مفيد للناس الذين يطلقون عليها تلك الاسماء. ولو لم يكن ذلك صحيحاً فلماذا تعطى الاشياء الصماء اسماء؟**» اجابت البعوضة: «**لاادري ولكن هناك حيث ستذهبين في الغابة لاتعطى الاشياء اسماء، على كل حال اذكري لي لائحة اسماء الحشرات التي تعرفينها ولا تضيعي الوقت**».

بدأت اليس تعدد اسماء الحشرات فقالت: «**اولاً هناك النعرة ويسمونها القرادة، تمتص دم الخيول. . .**» قاطعتها البعوضة: «**حسناً، في منتصف الطريق الى الدغل نعرة كبيرة هزازة اذا نظرت جيداً سترينها، تنتقل من مكان الى آخر بالتأرجح من غصن الى غصن ويدعونها «قرادة الخيل»، لكنها من خشب**». قالت أليس: «**وماذا تأكل؟**». ردت البعوضة: «**تأكل لحاء الاشجار والنشارة، استمري**

بتعـداد **الحشـرات»**. نظـرت أليس الى القـرادة الهزازة بتعجب واهتمام وظنت أنها مطلية بالصباغ منذ وقت قصير لأنها كانت تبدو لامعة لزجة، ثم استطردت: «**وهناك حشرة ندعوها اليعسوب أو السرمان . . .**». قاطعتها البعوضة: «**انظري فوق رأسك تري يعسوباً طياراً. جسمه كله من فطيرة الخوخ وجناحاه من اوراق الدفلى ورأسه زبيبـة محتـرقـة**». عجبت أليس وقـالـت: «**ومـاذا يأكـل؟**». قالت البعوضة: «**يأكل القمـح المطبـوخ بالحليب والفطـائر المحشوة باللحم ويعيش في الصندوق حافظ هدايا عيد الميلاد**». نظرت أليس الى اليعسوب ورأسه الذي يحترق وقالت لنفسها: «**ربمـا كان هذا السبب في أن الحشـرات تطيـر وتتهـاوى على لهب الشمعة - انها تحاول أن تحرق نفسها لتصبح يعسوباً**»، ثم التفتت الى البعوضة وقالت: «**وهناك الفـراشـة . . .**». قاطعتهـا البعـوضة: «**هنا، إنها تزحف على قدمك** (جذبت أليس قدمهـا بسـرعـة وخـوف) **لاحظي ان جناحيها من شرائح الخبز وجسمها قشرة فطيرة ورأسها قطعة من السكر . . .**». سألت أليس بتردد: «**وماذا تأكل؟**» قالت البعوضة: «**الشاي الخفيف مع قشدة الحليب**». دهشت أليس وقالت: «**واذا لم تجد شيئاً من هذا لتأكله؟**». ردت البعوضة بغير اهتمام: «**عندئذٍ تموت من الجوع، طبعاً**». بعد تفكيـر قالت أليس: «**لكن هذا ممكن ان يحـدث كثيـراً**». قالت البعـوضـة: «**بـل يحـدث دائمـاً**». صمتت أليس وراحت تفكـر طويـلاً والبعـوضـة تتسلى بالـدوران والطنين حول رأسهـا واخيـراً استقرت في مكانها وسألت: «**اعتقد انك لاتريدين أن تفقـدي اسمـك**». هلعت أليس للسؤال وصـاحـت: «**لا، بكـل تأكيـد**». قالت البعـوضـة: «**مع ذلك لااعرف، ولكن فكري كم يكون من الأنسب لك أن تتدبري امـرك وتعـودي الى بيتك بلا اسم. عندئذ اذا ارادت المربية أن تدعوك الى الدرس قالت** (تعالي) **وتتوقف لأنها لن تستطيع أن تدعوك باسمك الذي ضاع منك وبالطبع لايتحتم عليك ان تلبي نداءها لأنها لاتعرف بأي اسم تناديك**». قالت أليس: «**هذا لايجدي وأنا اعرف. المربية لاتقبل ابداً ان تعفيني من الدروس لمثل هذا العذر، واذا لم تتـذكـر اسمي فأنهـا تدعوني** (يا آنستي) **كما يفعل الخدم**». ولاحظت أليس أن دمعتين كبيـرتين تدحـرجتـا على خديَّ البعـوضـة فقالت لها مواسية: «**يجب ان لاتحـزني اذا لم تنجـح خطتك فإنك أردت مساعدتي وهذا يكفي**». ولكن البعوضة ظلت تتنهـد بأسىً عميق. تحيـرت أليس ونظـرت حولهـا لعلهـا تجـد ماتسلي به البعوضة وعندما نظرت ثانية الى مكان البعوضة رأت إنها لم تبقَ هناك، اختفت عن

الغصن وتوارت. فنهضت تسير نحو الحقول.

بلغت غابـة كثيفـة على جانبي حقل متسع. بدا أن الغابة أشد كثافة من سابقتها فتـوجّست خيفـة من دخـولهـا وبعـد تردد قالت: «**مهما يكن فإن عليَّ أن ادخل هذه الغـابـة إذ ما ينبغي لي أن انكص فهي الطـريق الوحيدة التي ستؤدي بي الى المربع الثامن حيث أصبح ملكة**».

سارت الى الغابة وهي تقول: «**هذه هي الغابة حيث الاشياء لااسماء لها، ترى ماذا يصبح اسمي عندما ادخلها؟ لااريد ان افقد اسمي، ربما يعطونني اسماً آخر لا أحبـه، سيكـون بلا شك اسمـاً قبيحاً. كم يكون مضحكاً أن اجد مخلوقاً آخر اخذ اسمي. ولكن كيف اعثر عليه؟ ذلك سيكون كما يحدث في الاعلانات للحيوانات والكـلاب المفقـودة في الصحف** (فقـدت كلبـاً لونه كذا يستجيب لاسم «**داش**»). **لنتصـور كم يكـون عجيباً أن أدور في تلك الانحاء وانا انادي** (أليس، أليس) **لعلّ أحداً يجيب، ولكن لن يجيب احد عن ندائي اذا كان يفقه شيئاً**».

كانت تحدث نفسها وهي تتقدم نحو الغابة، ولما وصلت اليها وجدتها باردة جداً وظليلة فقـالت: «**على كل حال، غابـة مريحة بعد الحر الذي قاسيته. بعد العذاب سأجلس الآن في ظل**» - توقفت عن الكلام - ظل ماذا؟ تعجبت لأنها لم تستطع أن تلفـظ الأسم، اذ لم تستطـع تـتـذكر أي شيء، واخذت تتلعثم: «**تحت ظل، تحت ظل تحت ظل هذا، لا هذه**». وتضـع يدهـا على جذع الشجـرة وتقول: «**ترى ماذا تدعـو نفسهـا مااسمهـا؟ ياللعجب، اظنها لاتملك اسماً، بل ذلك شيء مؤكد مثل كل الاشياء التي هنا**».

الفصل الرابع
تويد لدام،
تويد لدي
TWEEDLEDHM, TWEEDLE - DEE

كان القـزمـان تويـد لدام وتويد لدي واقفين تحت الشجرة وكل منهما يطوق عنق الآخر بذراعه. استطاعت أليس فوراً أن تعرف كلاً منهما ولأنها رأت على قبته جزءاً من اسمه مطرزاً، على قبة أحدهما كلمة (دام) وعلى قبة الآخر كلمة (دي) فأدركت أن القسم الأول من كل اسم، أي (تويدل)، مختفٍ خلف القبة فقالت في نفسها:

«كـل من اسميهمـا يبـدأ بأحـرف (تـويدل)، والأسم مطرز حول القبة ولا يظهر في المقدمة سوى القسم الاخير، اي (دي) أو (دام) وبهذا يتميزان.

وقفـا شاخصين بدون حراك حتى نسيت انهمـا من الاحيـاء لجمودهما واخذت تنظـر أليهـا وتتفحص القبـة ليتأكـد لها ما حدست فيه أن كلمة (تويدل) مطرزة على خلف القبة.

جفلت لدى سماعها صوتاً يخرج من فم الذي يحمل علامة (دام). قال الصوت:

«إذا كنت تظنين اننا تمثالان من الشمع يجب عليك أن تدفعي أجراً، لأنّ المشاهدين يدفعون أجراً لمشاهدة تماثيل الشمع». وأضاف (دي): **«وكذلك على العكس، إذا كنت تحسبين اننا مخلوقات حيّة فعليك أن تتكلمي وتقولي لنا شيئاً»**.

قالت أليس: **«إني آسفة جداً»**، ولم يكن في وسعها أن تقول اكثر من ذلك اذ شعرت بأن كلمات تلك الأغنية القديمة ترن في أذنيها رنيناً قوياً كأنها ساعة تدق حتى لم تتمالك أن تجهر بها بصوت عالٍ:

«تويد لدام وتويد لدي
اتفقا على أن يخوضا معركة
لأن تويد لدام قال إن تويد لدي
خرب له لعبة الخشخيشة
فجأة انقض عليهما غراب ضخم
أسود كبرميل القار
فدبّ الرعب في البطلين المتقاتلين
فنسيا المعركة وفرّا هاربين».

نظر تويد لدام الى أليس متفرساً ثم قال: **«أنا أعرف فيما تفكرين، لكنها ليست كما تتصورين على أي حال...»**.

عندئذٍ صاح تويد لدي: **«وكذلك على العكس، لو أنها كذلك فإنها تحدث، ولو كانت كذلك لكانت حدثت، إنما ليست كذلك فلا تحدث وهذا منطق»**.

قالت أليس بتهذيب: **«كنت اتساءل أي طريق أفضل للخروج من الغابة، أن المساء يقترب وأنا أريد أن أخرج، هل لكما أن تدلّاني على طريق الخروج فأكون لكما شاكرة؟»**.

نظر القزمان كل منهما إلى الآخر وابتسما دون أن يقولا حرفاً.

كان منظرهما يوحي بأنهما من تلامذة المدارس حتى أن أليس أشارت بإصبعها الى تويد لدام وقالت: **«الولد الأول»**. فصاح هذا مستنكراً: **«ابداً، على أي حال»**. ثم أطبق فكه بقوة فأحدث صوتاً مسموعاً. اشارت أليس بإصبعها إلى تويد لدي وقالت وهي تشعر بأنه سيبادر الى الصياح بعبارته المعهودة **«وكذلك على العكس»**، ولقد فعل ذلك حقاً عندما صاحت به «الولد الثاني».

وأخيراً تكلم تويد لدام: **«بدأت خطأ، الزيارة تبدأ عادة بالقول «كيف حالكما»؟ ثم بالمصافحة»**. وهنا شد كل من الاثنين على عنق رفيقه بذراعه ومد الأخرى الحرة

نحو أليس لمصافحتها.

لم تشأ أليس أن تمسك بيد قبل يد خوفاً من أن تؤذي شعور أيٍّ منهما بمصافحة غيره قبله لهذا أمسكت باليدين معاً وهزتهما، وإذا بالاثنين ينطلقان حولها ويأخذان بالرقص دائرين. بدا الأمر طبيعياً جداً (كما تذكرت فيما بعد) ولم تدهش قط عندما تناهى الى سمعها صوت موسيقى تدق وبدا أن ذلك الصوت يأتي من تحت الشجرة التي كانا يرقصان بجوارها فتصوّرت أن الأنغام تصدر (وهو ظنّ في أقل تقدير) عن احتكاك أغصان الشجرة بعضها بالبعض الآخر.

(قالت أليس فيما بعد وهي تروي القصة لشقيقتها): «**كان ذلك مضحكاً جداً، إذ وجدت نفسي أغني**». «**ها أننا هنا نرقص حول شجرة التوت**»، لم أشعر متى بدأت بالغناء ولكني تصورت أني أنشد الأغنية منذ وقت بعيد بل بعيد جداً أما الراقصان فقد تعبا وتقطعت أنفاسهما لفرط بدانتهما فقال تويد لدام وهو يلهث: «**أربع دورات تكفي لرقصة واحدة**». توقفا عن الرقص فجأة كما انطلقا وفي تلك اللحظة نفسها توقفت الموسيقى ثم تركا يدي أليس ووقفا يتأملانها برهة. كان الجميع في حيرة فلم تتصور أليس كيف يكون الحديث مع اثنين كانت لوهلة ترقص معهما وقالت في سرها: «**لن يكون مناسباً الآن أن اقول لهما: «كيف حالكما»، تجاوزنا هذه المرحلة في تقاليد التعارف**». وأخيراً عثرت على الحلّ في قولها: «**أرجو أن لاتكونا تعبتما كثيراً**». رد تويد لدام: «**ابداً ونحن نشكر لك تلطفك بالسؤال**». أضاف تويد لدي: «**إننا في غاية الامتنان لك، هل تحبين الشعر؟**»

قالت أليس وهي تتلعثم مترددة: «**نعم، أحب بعض الشعر، بعض الشعر أحبه كثيراً، ولكن أين الطريق التي أستطيع أن أخرج بها من الغابة؟**».

نظر تويد لدي الى تويد لدام بجدية ومهابة كأنه لم يسمع سؤال أليس وقال: «**أية أغنية سأنشد لها؟**». شد تويد لدام عنق أخيه وقال له: إن أغنية «**الفظ والنجار هي الأطول**».

وفجأة انطلق تويد لدي يغني: «**كانت الشمس تتألق...**» قاطعته أليس بأقصى ماتستطيع من تهذيب: «**إنها أغنية طويلة جداً هل لك، من فضلك، أن تدلّني على الطريق لأخرج من الغابة؟**». ولكن تويد لدي ابتسم برقة وتابع مرنماً:

«كانت الشمس تتألق فوق البحر

بكل ماعندها من قوة واشراق

وتبذل جهدها لكي تجعل صفحة الماء هادئة لامعة

وكان الأمر غريباً جداً
لأن الوقت كان ـ منتصف الليل» .

. . . .

القمر يشرق ولكن بوجه كالح
كان حانقاً وهو يعتقد
أن الشمس لايحق لها أن تظهر هناك
بعد انتهاء النهار .
وقال القمر : «إنها رعونة من الشمس غير مقبولة
أن تأتي وتفسد علينا مرحنا»
كان البحر رطباً ، ورطباً للغاية
اما الرمال فجافة وجافة للغاية ،
ولم يكن أي امرءٍ قادراً على رؤية غمامة
لأن السماء لم تكن فيها أية غيوم . . .
كذلك لايمكن رؤية أي طير يطير
فلم تكن هناك أية طيور . . .
أما الفظ والنجار ،
فكانا يسيران جنباً إلى جنب ،
يبكيان متألمين ،
من كثرة الرمال المحيطة بهما . . .
وقالا : «لو كنا نستطيع أن نكنسها
لكان العمل عظيماً جداً . . . »

. . . .

قال الفظ : «إذا جاءت سبع بنات بسبعِ مكانس
وأخذن يكنسن الرمال نصف سنة
هل تعتقد يا صديقي النجار ، إنهن ينهين العمل؟» .
أجاب النجار : «أشك في ذلك ، ياصديقي الفظ» .
وذرف دمعة أسى حرّى . . .

. . . .

ثم صرخ الفظ باستعطاف منادياً المحار: «**أيتها المحارات، تعالن وتمشين معنا**
إنها نزهة ممتعة، انها نزهة ممتعة، على هذا الشاطيء المغسول بماء البحر
ونحن لانستطيع أن نسير سوى أربعة فقط
لنعطي كلاً منكنّ يداً من أيدينا».
نظرت أكبر المحارات سناً إليه، دون أن تنبس بحرف
ومحارة كبيرة نظرت اليه
وغمزت بعينها،
وكانت تعني بالغمزة
أنها لاتنوي ترك مقرها في قاع البحر».

. . . . . .

لكن أربع محارات غريرات
كلهن شوق ولهفة للتعرف بكل جديد
قبلن الدعوة، وجئن بظهورهن
اللماعة ووجوههن المغسولة
وأحذيتهن البرّاقة النظيفة...
وكان الأمر غريباً جداً
لأن المحارات لاتملك أقداماً

. . . .

«**أربع محارات تبعن الفظ والنجار،**
ثم أربع محارات
ثم محارات أخرى تلحق بهن
وتكاثرن، وتكاثرن متلاحقات...
وجئن يتراقصن فوق الأمواج التي يغطيها الزبد
ويتدافعن مسرعات نحو الشاطيء...»

. . . . . .

«**أما الفظ والنجار فسارا**
ميلاً أو نحو ذلك...
ثم جلسا يستريحان على صخرة

غير مرتفعة تناسب غرضهما،
وكل المحارات الصغيرة الغريرة
وقفن في صف منتظم...»

....

«قال الفظ حينئذٍ: «حان الوقت
لكي نتحدث عن أشياء كثيرة،
عن الأحذية والسفن وشمع الأختام الأحمر،
عن بنات الملفوف وعن الملوك
وعن السبب الذي يجعل البحر يغلي
وهل كان للخنازير أجنحة تطير بها...»

....

«صاحت المحارات: «إنتظر قليلاً
قبل أن نبدأ بالحديث
فنحن مازلن نلهث تعباً
فكلنا محارات سمينات مكتنزات...».
قال النجار: «لاداعي للعجلة»،
فشكرت المحارات لطفه ودماثته».

....

أخيراً تكلم الفظ وقال:
«نحتاج الآن الى رغيف
وفوقه البهار والخل
من الأشياء التي تطيّب الطعام».
فاذا كنتن جاهزات، أيتها المحارات العزيزات
نستطيع أن نباشر الأكل على الفور».

....

صاحت المحارات مستنكرات:
«ولكن لاتأكلانا نحن» ثم احتقن خوفاً وهلعاً
«بعدما صدر منكما من لطفٍ وإيناس

سيكون عملاً فظيعاً» . . .
رد الفظ متجاهلاً صراخ المحارات :
«الليل ساج وهادىء، انظرن
ما أجمل المنظر؟» . . .

. . . . . .

«كان لطفاً منكن أن تأتين معنا
وهذا جميل» . . .
أما النجار فلم يقل سوى :
«أعطني شرحة أُخرى
أود لو لم تكن أطرش
فأنا أطلبها للمرة الثانية دون أن تسمع . »

. . . . . .

قال الفظ : **«يبدو أن عملنا معيب خدعنا المحارات المسكينات وجعلناهن يأتين معنا إلى هنا ثم أخذنا نلتهمهن بفظاظة وغدر» لكن النجار لم يجب، قال : «إن الزبدة كثيفة جداً على هذه القطعة» .**
قال الفظ للمحارات : «إني أرق لكن»
وأتألم
وأشفق على مصيركن» . . .
«وفيما هو يذرف الدمع وينتحب
مدّ يده لينتقي أكبر المحارات حجماً .
وأمسك باليد الأُخرى منديله
ليمسح دمعتين تحدرتا من عينيه . . . »

. . . . . .

«ثم نادى النجار قائلاً : «أيتها
المحارات
لابدّ انكن استمتعتن بالرحلة» . . .
فسأله مابقي من المحار : «أترانا
سنستمتع بالعودة إلى بيتنا؟» .
«لكن النجار لم يعطهن أي جواب

ولم تكن أية غرابة
لأن الفظ والنجار أكلا كل
المحارات . . . »
. . . .

توقف تويـد لدي عن الغنـاء وتنهـدت أليس الصعداء : «أني أحب الفظ أكثر من النجـار، لأنـه كمـا رأينـا ، أشفق على المحـارات المسكينـة وبكى حزنـاً عليها» .
اعترض تويد لدي على قول أليس وأجاب : «ولكنه أكل من المحارات أكثر مما أكل النجـار، وعنـدمـا رفع منديله إلى عينيه متظاهراً أنه يكفكف دموعه كان في الحقيقة يخفي عن عيني النجار عدد ماكان يلتهمه من المحار، وكذلك العكس . . . » .
صاحت أليس بغضب : «كانت دناءة وخسة منه ، فأنا أحب النجار أكثر ، لأنه لم يأكل من المحار مقدار ما أكل الفظ . . . » . فاعترض تويد لدام قائلاً : «برغم ذلك أكل كل منهماما يستطيع أكله . . . » .
حارت أليس وبعد تفكير قصير قالت محاولة إنهاء الحديث الذي هو بلا طائل : «على أي حال ، لاأجـد أيّـاً منهمـا جديراً بالمحبة» . وفجأة توقفت عن الكلام لدى سماعها صوتاً مخيفاً يشبه شخير القاطرة البخارية فارتاعت له إذ كان صادراً من مكان قريب في الغابة التي هم فيها، وخشيت أن يكون في الجوار حيوان مفترس فسألت وهي تحاول أن تتصنع الرقة والهدوء : «هل في الغابة إسود أو نمور تتجول؟»
أجاب تويد لدي بغير اهتمام : «إنه الملك الأحمر يشخر . . . » .
قال الأخوان معاً : «تعالي وانظريه» . وأخذ كل منهما بإحدى يدي أليس وقاداها الى حيث الملك الأحمر ينام ويشخر بصوت عال . وسألها تويد لدام : «ألا ترين أن منظـره جميـل؟» . لم تستطع أليس أن تراوغ أو تكذب موافقة على رأي تويد لدام ، فلم تجد منظره جميلاً على الاطلاق . كان الملك الأحمر يعتمر طاقية صوفية للنوم ذات ذؤابة (شرابة) طويلة وينام متكوماً على شكل مقيت ويشخر بصوت وصفه تويد لدام بأنه «يبدو كأنه سيطيح رأسه» .
قالت أليس : «أخشى أن يصاب بالزكام من نومه على الأرض الرطبة والأعشاب الندية» ، وأليس تنتبه دائماً لمثل هذه الاعتبارات .
قال تويد لدي : «إنه يحلم الآن ، بم تظنين انه يحلم؟» .
قالت أليس : «لاأحد يستطيع أن يعرف بِم يحلم؟» .
صاح تويـد لدي وهـو يصفق بيـديه مزهواً : «أجل ، يحلم بك أنت ، ولو لم يكن

يحلم بك، أين تعتقدين أنك ستكونين؟» قالت أليس بحزم: **«سأكون حيث أنا الآن»**. أجاب تويد لدي وهو يقلب شفتيه مزدرياً: **«أبداً... أنك لن تكوني في أي مكان على الاطلاق. فلست سوى خيال في منامه...»**.

تدخل تويد لدام قائلاً: **«إذا استيقظ هذا الملك من نومه، ستزولين هكذا، ستختفين كأنك لم تكوني، تماماً كما ينطفيء لهب الشمعة...»**

ثارت أليس لهذا الكلام وصاحت: **«أبداً، هذا هراء، ثم لست مجرد خيال في منامه، ولو كنت حقاً، أريد أن اعرف ماذا تكونان أنتما؟»**.

قال تويد لدام: **«نكون مثلك»**. وردد تويد لدي: **«نعم مثلك تماماً...»**. كان تأكيد تويد لدي بصوت قوي حتى أن أليس أهابت به أن لا يرفع صوته لئلا يوقظ

قال تويد لدام: **«نكون مثلك»**. وردد تويد لدي: **«نعم مثلك تماماً...»**. كان تأكيد تويد لدي بصوت قوي حتى أن أليس أهابت به أن لا يرفع صوته لئلا يوقظ الملك قائلةً: **«لاتصرخ، أخشى أن توقظه إذا تكلمت بصوت عالٍ... دعه نائماً»**. قالِ تويد لدام: **«على كل حال، لاجدوى من كلامك على إيقاظه، فما دمت مجرد خيال في منامه لابد أنك تدركين أنك لست شيئاً حقيقياً»**.

انتفضت أليس وقالت: **«بل أنا شيء حقيقي بكل تأكيد»**، ثم اجهشت باكية تكلم تويد لدي بجدية تامة: **«لن تصبحي شيئاً حقيقياً إذا بكيت ثم أنه لاداعي للبكاء والنحيب»**. قالت أليس وهي تضحك وتنتحب في آن واحد: **«لو لم اكن حقيقية أتراني كنت أستطيع أن أبكي؟ كل هذا يبدو لي سخيفاً ومضحكاً...»** ولكن تويد لدام قاطعها موبخاً بصوت تنم منه السخرية: **«لاأحسبك تعتقدين أن هذه الدموع حقيقية؟»**.

قالت أليس لنفسها: **«أعرف أن كلامك مجرد سخف وقول هراء. ومن البلاهةِ أن أبكي من مثل هذا القول»**، ثم مسحت دموعها، واستعادت مرحها وابتسامتها وقالت للأخوين: **«مهما يكن فإن من الأفضل لي أن احاول الخروج من الغابة، الليل يقترب والظلام سيعم الغابة، هل تعتقدانِ أن السماء ستمطر قريباً؟»**.

فتح تويد لدام مظلة كبيرة فوق رأسه ورأس أخيه ونظر فيها قائلاً: **«لا أعتقد أنها ستمطر، على الأقل ليس هنا، تحت المظلة، على أي حال...»**. قالت أليس: **«ولكنها ستمطر خارج المظلة، ألا تظن؟»**.

قال تويـد لدي : «**هـذا شأنهـا ، فلتمطر حيث تشاء . . . لانعترض على قرارها، وكذلك على العكس . . .**»

كادت أليس تقـول لهمـا : «**يـالكمـا من أنـانيين**» **ثم تودعهما لتنطلق في طريقها خارج الغـابـة عنـدما قفز تويد لدام من تحت المظلة وأمسك برسغ يدها وهو يقول بصـوت يخنقـه التأثـر فيما كانت عيناه تتسعان بعلائم الرعب والخوف ثم يشير بيده الى شيء ابيض تحت الشجرة** «**ألا ترين هذا؟**»

تفحصت أليس بنظرها الشيء الذي أشار اليه ثم قالت مطمئنة :

«**إنهـا لعبـة ، لعبـة خشخيشـة يلهو بها الأطفال وتصدر قرقعة عندما يديرونها في الهواء ، لاتخف منها ، ليست حيّة ذات جلاجل . . .** (ظنت انه كان خائفاً منها) **إنها لعبة قديمة ، محطمة . . .**» .

قال تويـد لدام غاضبـاً وهـو يدور حول نفسـه ويـركـل الأرض بقدميه غيظاً : «**أنا أعرفها وأعرف أنها محطمة**» . ثم نظر تويد لدام إلى أخيه تويد لدي الذي سارع الى الجلوس على الأرض وهـو يحـاول الاختبـاء تحت المظلة . تقدمت أليس الى تويد لدام وقـالت له : «**لايجـدر بك أن تغضب من أجـل خشخيشـة قديمة كهذه**» . لكن تويد لدام صاح وثار أكثر من قبل : «**انها جديدة ، أؤكد لك ، أنها جديدة - اشتريتها بالأمس فقــط ، انهــا لعبتي الجميلة ، الجميلة الجـديـدة**» . وكـان صوتـه في تلك اللحظة قد تحول الى زعيق وصراخ . . .

وكـان تويـد لدي يحـاول جاهـداً أن يختبىء تحت المظلة ويطبقهـا على نفسـه ليختفي فيها وكان غريباً بحيث لفت انتباه أليس فما عادت تلقي بالاً لثورة تويد لدام المتأججة . طبعاً لم ينجح تويد لدي في الاختباء داخل المظلة فتدحرج معها وتقلبا معـاً على الأرض بحيث أصبحت تغطي معظم جسمــه ، لكن رأســه ظل خارجاً فانبطح هناك وعيناه مفتوحتان ثم أخذ يفتح فمه ويطبقه فَرَقاً فخيل لأليس «**أنه أشبه مايكون بسمكة كبيرة في الماء**» .

هدأت ثورة تويـد لدام فجأة وقـال لأخيـه : **أعتقد أنـك تحب أن يكـون عندك خشخيشة؟**» قال تويد لدي : «**طبعاً ، على شرط أن تفيدنا في ارتداء ملابسنا ، كما تعلم**» . **نهض الشقيقان وأمسك كل منهما بيد الآخر ثم انطلقا في الغابة ولم يلبثا أن عادا مسـرعين وكـل يحمـل بيـديه مجموعة غريبة من الأشياء - أربطة ، مشدات ، أحـزمـة صوف ، سجادات صغيرة ، اغطية مائدة ، أغطية قدور وأوعية لحفظ الفحم** تكلم تويد لدام : «**أرجو أن تكوني قادرة على ربط الأشياء أو على ضمها بعضاً إلى**

بعض بالأحـزمـة. انظـري فإن علينا أن نلبسها كلّها، كل هذه الاشياء التي نحملها على أجسادنا بطريقة أو بأخرى».

قالت أليس فيمـا بعـد إنهـا لم ترَ في حيـاتهـا منظـراً من هذا القبيـل، لقد أخذا يرتـديـان كل ماجلبـاه من أشيـاء عجيبة وهي تساعدهما وتربط هذا وتشد ذاك وتزرر هنالك. قالت أليس في نفسها: «**عندما ينتهيان من ارتداء كل هذه الأشياء سيبدوان أشبه مايكونان بكومتين من الأشياء العتيقة**». ثم اخذت تربط وسادة حول عنق تويد لدي «**حتى لايطير رأسه في الصراع الآتي**» - شكرها تويد لدي قائلاً: «**أنت تعرفين أن اسـوأ ما يمكن أن يحـدث لمقـاتـل في أي صراع أن يطيـر رأسـه عن جسـده**». فانفجـرت أليس ضاحكـة ولكنهـا حولت الضحكـة الى ما يشبـه السعال لئلا تجرح شعور تويد لدي.

وجه تويد لدام حديثه الى أليس قائلاً: «**هل يظهر على وجهي اني ممتقع؟**» وكان قد اقترب منها لكي تربط له الخوذة على رأسه «**أيسمى هذا الشيء خوذة؟ لقد رأت أليس أن ذلك الشيء اقرب للمقلاة منه الى الخوذة**» فأجابت: «**أجل، يبدو لي أنك شاحب قليلاً**».

قال تويـد لدام: «**أنـا، على وجـه العمـوم شجـاع جداً ولا أخـاف، لكنني اليومَ أشكـو من صداع قوي...**». سمـع تويـد لدي قول أخيـه فجعـل هو أيضاً يحاول انتحـال عذر يغطي به على خوفـه وجبنـه فقـال: «**وأنـا كذلـك أشكـو من وجـع في ضرسي. ان وجـع الضـرس أشد من الصداع...**». عندئذٍ قالت أليس: «**إذا كان الأمـر كذلـك، فمن الأوفق أن لاتتصـارعا اليوم**». وكانت تظنها فرصة لإنهاء القتال وإقـامـة صلح بين المتقـاتلين على خشخيشة. لكن تويد لدام قال: «**كلا، بل لابد من أن نخـوض معـركة قصيرة. لاأحب أن أقاتل لمدة طويلة ـ كم الساعة الآن؟**».

نظر تويد لدي الى ساعته وقال: «**الرابعة والنصف**». فقال تويد لدام: «**إذن فلنتقاتل حتى السـاعـة السـادسـة، ثم نتناول طعام العشاء**». قال تويد لدام: «**حسناً، وهي سوف تراقب سيـر المعـركـة**»، ثم استـدار إلى أليس وقـال محـذراً: «**عليك أن لاتقتربي كثيراً منا، فأنا في القتال أضرب أي شيء يلوح لي عندما استثار وتتملكني حمـاسـة القتال**». علق تويد لدام على هذا الكلام: «**أما أنا، فأضرب أي شيء في مجال يدي سواء لاح لي أو لم يلح**».

ضحكت أليس من الكـلام وقـالت: «**أظنكمـا ستصبيـان الأشجـار بأكثـر**

ضرباتكما**». نظر تويد لدام حوله وقال: «**لاأظن ذلك، وأرجو أن تبقى حولنا شجرة منتصبة بعد أن نفرغ من القتال**».

سألتهما أليس متعجبة: «**هل تحتربان من أجل لعبةٍ، من أجلِ خشخيشة صغيرة؟**». وكانت ترجو أن يخجلا ويمتنعا عن خوض صراع من أجل شيء لاقيمة له. قال تويد لدام: «**لم أكن لأهتم كثيراً لو لم تكن الخشخيشة جديدة وهو أتلفها**».

تذكرت أليس كلمات الأغنية وقالت في نفسها: «**كم أتمنى لو يحضر الغراب ويفض الصراع كما جاء في الأغنية القديمة**».

قال تويد لدام لأخيه: «**ليس لدينا سوى سيف واحد، عليك أن تستعمل المظلة، ان لها رأساً حاداً. ومهما يكن فإن علينا أن نبدأ الصراع حالاً قبل أن يحل الظلام**». علق تويد لدي: نعم ان العتمة مقبلة.

شعرت أليس بأن النور يتضاءل والعتمة تزداد بصورة مفاجئة، وأن السماء تتلبد بالغيوم مؤذنة باقتراب عاصفة، فرفعت رأسها قائلة: «**إن غيمة سوداء كثيفة تبدو في السماء. يالها من غيمة. إنها تقترب مسرعة، وياللعجب يبدو كأن لهذه الغيمة جناحين، إن شكلها غريب**».

ما أن سمع تويد لدام كلامها حتى صاح بصوت يمازجه الرعب والهلع: «**أوه، إنه الغراب، إنه الغراب**»، وفي مثل لمح البصر، انطلق الشقيقان يركضان بأقصى سرعة وتواريا كأنهما تبددا في الهواء.

عدت أليس في الغابة مسافة قصيرة ثم وقفت تحت ظل شجرة كبيرةوقالت: «**لن يستطيع الغراب أن يصل اليّ هنا، إنه ضخم الجثة، ولن يحاولَ أنْ يُدخلَ نفسه بين أغصان الأشجار ليبلغني، ولكن، اتمنى لو يكف هذا الغراب الجبار عن التصفيق بجناحيه فأنه يسبب ريحاً عالية في الغابة تشبه العاصفة ـ ماهذا؟ أرى شالاً تحمله الريح . . .**».

الفصل الخامس
الصوف والماء

أمسكت أليس بالشال الذي كان **يطير في مهب الريح** تنظر حولها لعلّها تعثر على صاحبه وفجأة رأت الملكة البيضاء تركض على **نحو جنوني** في انحاء الغابة، ويداها أمامها كأنها تطير. تقدمت أليس لتلاقيها بدافع انساني وأدبي وهي تعطيها الشال قائلة: «**من حسن حظي اني كنت هنا وتمكنت من التقاط الشال وكانت الريح تحمله الى حيث لا ادري**» وطفقت تساعد **الملكة على لف الشال** حول عنقها. لم تقل الملكة شيئاً وبدا عليها انها في حالة من الرعب واليأس وتهمس بصوت خافت ما كأنه «**الخبز والزبدة، الخبز والزبدة**». احست أليس بأنها اذا رغبت في أية محادثة مع الملكة فعليها أن تبدأ هي فقالت بصوت منخفض: «**اتراني اخاطب جلالة الملكة؟**». ردت الملكة: «**نعم، اذا كنت تعتبرين هذه مخاطبة، إنها لا تتفق مع رأيي في قواعد المخاطبة على كل حال**». قالت أليس في نفسها «**ليس من**

المناسب أن ندخل في مناقشة مع الملكة» فابتسمت برقة وعادت تقول: «هل تتكرم صاحبة الجلالة بارشادي وتلقيني اصول مخاطبة الملكات، واجهد لإتقانها على نحو يرضيك». قالت الملكة: «ولكني لااريد ابداً، كنت احاول مخاطبة نفسي طوال الساعتين الماضيتين دون جدوى فيما انا ارتدي ملابسي». قالت أليس في نفسها: «يبدو لي انها لاتحسن المخاطبة بأفضل مما تحسن ارتداء ملابسها وهي عديمة الأناقة منفرة». قالت أليس «كل شيء من ثيابها يبدو غير مناسب ومثبت بالدبابيس»، ثم اضافت بصوت مسموع متوجهة الى الملكة: «هل تسمحين لي بمساعدتك في وضع الشال على الهيأة الصحيحة؟» قالت الملكة بيأس وقنوط: «لاأدري ماشأن الشال، إنه غير مستقر، بالدبابيس هنا لايهدأ، وهناك لم يكن احسن، يبدو لي أن لاشيء يرضيه». قالت أليس: «إنه لايستقر بالدبابيس من جهة واحدة»، ثم ثبتته صحيحاً وتابعت: «آه، شعرك، انظري في أية حال هو». قالت الملكة: «إن الفرشاة علقت به، وفقدت مشطي بالأمس».

استخرجت أليس الفرشاة المشتبكة بشعر الملكة وصففت شعرها ثم قالت وهي تغير مكان معظم الدبابيس: «الآن منظرك افضل بكثير ولكن تحتاجين الى وصيفة تهتم بك». قالت الملكة: «يسرني أن آخذك وصيفة لي ـ سأدفع اليك قرشين كل اسبوع واقدم اليك المربى مرة كل يومين». لم تتمالك أليس عن الضحك وردت: «لا أطلب منك أن تأخذيني وصيفة لك، كما أني لا أحب المربى».

قالت الملكة: «ولكنه من أجود انواع المربى». ردت أليس بأدب: «على كل حال لاأرغب في مربى اليوم على الأقل». قالت الملكة: «لم يكن في وسعك أن تنالي منه شيئاً حتى لو رغبت، فالقاعدة هي ـ مربى أمس، ومربى غداً ولكن لامربى اليوم». اعترضت أليس: «ولكن، لابد أن يحين وقت يكون فيه مربى اليوم. . .». قالت الملكة: «ابداً، لايمكن أن يحدث، قلت تأخذين المربى يوماً من «بعد يوم»، واليوم لايمكن ابداً أن يكون «بعد يوم»، وهذا واضح». قالت أليس: «ليس واضحاً بل محير جداً».

قالت الملكة: «هذا من تأثير العيش بالمعكوس، يجعل المرء في دوخة أحياناً ولا سيما بادىء الأمر». تعجبت أليس: «العيش بالمعكوس؟، لم اسمع مثل هذا قط». قالت الملكة: «لكن فيه فائدة عظيمة، أن الذاكرة تعمل في الاتجاهين في آن». اعترضت أليس: «انا واثقة أن ذاكرتي في اتجاه واحد فقط، انا لااستطيع أن اتذكر الاشياء قبل أن تحدث». قالت الملكة: «إنها ذاكرة ضعيفة وتعسة تلك التي

لاتعمـل إلاّ في الاتجـاه الخلفي، أي الى الوراء». سألت أليس الملكة: «أي نوع من الاشيـاء يمكنـك أن تتـذكـري أنت؟». فأجـابت الملكـة بعفـويـة ولا مبـالاة: «الاشيـاء التي حدثت في الاسبـوع الـذي يلي الاسبوع الآتي. للمثال (قالت وهي تلف ضمـادة حول اصبع يدهـا) هنـاك رسـول الملك. إنه في السجن الآن، هذه عقوبته، أما المحاكمة فتبدأ يوم الأربعاء المقبل، أما الجريمة فبعد كل ذلك...» قالت أليس: «فلنفـرض أنـه لم يرتكب الجـريمة التي يعاقب عليها سلفاً؟». قالت الملكة: «آه، هذا سيكون افضل، أليس كذلك؟» ثم أخذت تثبت الضمادة حول اصبعهـا بقطعـة من الشـريـط. لم يكن في مقـدور أليس أن تنكـرها ولكنها قالت: «طبعـاً ذلـك افضـل، ولكن ليس من الأفضـل أن يُعاقب المرء من أجل جريمة لم يقتـرفهـا بعـد،». قالت الملكـة: «انت مخطئـة هنـا، على أي حال، هل عوقبت مرة؟». قالت أليس: «طبعـاً، وانمـا على أخطـاء اقترفتها». قالت الملكة: «وكان هذا مفيـداً لك طبعـاً». ردت أليس: «بكـل تأكيـد، ولكني اقتـرفت الأخطـاء التي عوقبت من أجلهـا فعـلاً. وتختلف تمـامـاً عن العقـاب الـذي يكـون قبل ارتكاب الـذنب». قالت الملكـة: «ولكن لو لم ترتكبي تلك الذنوب أما كان افضل وافضل وافضـل؟». وكـان صوتهـا يرتفـع كلمـا تلفظت بكلمـة افضـل حتى انتهى بصراخ صاعق. قالت أليس: «يبدو أن هناك خطأ ما». ولكن الملكة اخذت تصيح وتزعق بصـوت عال فتـوقفت عن الكلام واذا بالملكة تنفض يدها بقوة وعنف وهي تصيح: «اصبعي... اصبعي، إنهـا تنـزف دمـاً، أوه أوه». وكـان الزعيق اشبه بصفير قاطرة بخـاريـة حتى أن أليس اضطـرت أن تسـد أذنيهـا باصبعيها وفي الوقت نفسه سألت عندما اتيحت لها الفرصة: «ماذا جرى، هل جرحت اصبعك بطريقة ما؟». قالت الملكـة: «أوه، لم اجـرحهـا بعـد، ولكني سأجـرحهـا بعـد قليـل... اوه، اوه، اوه...». سألت أليس وهي تغـالـب رغبـة في الضحـك: «متى تتـوقعين أن يتم هذا؟» ردت الملكـة: «عنـدمـا ابدأ بتثبيت شالي مرة أخرى، عندئذٍ تنفك قلادتي» فيما هي تتكلم انفكت القلادة وقبضت الملكة عليها بيدها بعنف فصاحت أليس: «انتبهي، تقبضين عليها من جهة الدبوس، احذري»، والوقت فات وقبضت الملكة على القـلادة وغـرز الـدبـوس في اصبعها وسال الدم منه. التفتت الملكة الى أليس وقالت: «أرأيت؟، هكذا جرحت اصبعي وسال دمي، كما قلت لك»، ثم مبتسمة: «ألا ترين كيف تحدث الاشياء هنا؟...».

قالت أليس: «ولكن، لماذا لاتزعقين من الألم الآن؟» ووضعت يديها على أذنيها

لتسدهما، والملكة اجابت بهدوء: «**زعقت سلفاً، وهل تريدين أن افعل ذلك ثانية؟**».

تلفتت أليس حولها وقالت: «**الاحظ أن العتمة انقشعت. لابدّ أن الغراب عاد ادراجه. اني سعيدة بذهابه، عندما جاء ظننت الليل اقبل**». قالت الملكة بأسىً: «**أتمنى لو أقدر أن اكون سعيدة ولا اتذكر القاعدة، طبعاً أنت سعيدة وتعيشين في هذه الغابة حيث يمكنك ان تسعدي حين تشائين**».

قالت أليس: «**انما المكان موحش، واشعر بالوحدة**». تهدج صوتها حين تلفظت بالكلمات وتدحرجت دمعتان كبيرتان على خديها. صاحت الملكة مؤاسية: «**اوه، لاتبكي هكذا، لاتبكي**، (وكانت تفرك يديها إشارة يأس وقنوط) **فكري في نفسك فكري كم انت فتاة عظيمة، فكري في الطريق التي قطعت لتبلغي هذا المكان، فكري كم الساعة الآن، فكري في أي شيء ياعزيزتي انما لاتبكي**».

برغم ماكانت تشعر به من أسى لم تستطع أليس إلّا أن تضحك من هذه المؤاساة فشرعت تقهقه ودموعها تتساقط وسألت الملكة: «**هل تكفين انت عن البكاء اذا فكرت في هذه الاشياء؟**». قالت الملكة: «**بالطبع ياعزيزتي، انها الطريقة الصحيحة. لايمكن المرء ان يعمل عملين اثنين معاً كما تعلمين، مثلاً لنبدأ بعمرك، كم عمرك الآن؟**» (كانت الملكة تتكلم بجدية وتصميم). قالت أليس: «**عمري سبع سنوات ونصف سنة بالتمام**». قالت الملكة: «**لاضرورة لأن تقولي بالتمام، فأنا اصدقك بدون التأكيد. وأنا اعطيك شيئاً لتصدقيه، أنا عمري مئة سنة وسنة وخمسة اشهر ويوم واحد**». ردت أليس بدهشة: «**لااقدر أن اصدق ذلك**».

نظرت الملكة الى أليس باشفاق وقالت كأنها ترثي لحالها: «**الا تقدرين؟ حاولي ثانية، خذي نفساً عميقاً واغمضي عينيك ثم حاولي**». غرقت أليس في الضحك وقالت: «**لاجدوى من المحاولة فالانسان لايصدق اشياء مستحيلة**».

تأملت الملكة أليس ثم قالت: «**سبب هذا عدم التدرب، ربما ليست لك الخبرة الكافية، انا في سنك كنت اتمرن لمدة نصف ساعة كل يوم. أحياناً كنت قادرة على تصديق ستة اشياء مستحيلة قبل الفطور**». توقفت وصاحت: «**ها هو شالي قد طار ثانية**».

انفكت القلادة والدبوس فيما كانت الملكة تتكلم وهبت ريح قوية أطارت شال الملكة عبر الجداول، فما كان من الملكة إلّا أن بسطت يديها كما فعلت أول مرة وطارت وراءه فتمكنت منه وصاحت بلهجة الظفر: «**الآن قبضت عليه وسترين أني**

اثبته بالدبابيس وحدي دون مساعدة». قالت أليس وهي تعبر الجدول خلف الملكة: «**أرجو أن يكون اصبعك تحسنت الآن**».

*

وجواباً عن هذا السؤال سمعت أليس صوت الملكة: «**أحسن الآن، أحسن الآن، احسن الآن**». ولاحظت تبدل نغمة الصوت كلما استطال الى أن انتهى بما يشبه ثغاء الشاة، فأجفلت واخذتها الدهشة. نظرت أليس الى الملكة متعجبة وبدا لها كأنها ملتفة بالصوف. حدث كل هذا بغتةً ففركت أليس عينيها غير مصدقة وحدقت فيما ظهر امامها فلم تقدر أن تتبين كيف حدث ذلك. نظرت حولها متسائلة: «**ماهذا، هل أنا في حانوت؟ وهل تلك شاة؟، حقاً هي شاة تلك التي تجلس وراء حاجز الدكان؟**». فركت عينيها ثانية، وحدقت، والمنظر لم يتغير. كانت في دكان صغير مظلم نوعاً ما وهي تتكأ بمرفقيها على حافة الصندوق ومقابلها في الجهة الاخرى شاة هرمة تجلس على كرسي تحوك الصوف وتنظر بين فينة واخرى الى وجه أليس من خلال نظارتيها الكبيرتين.

تكلمت الشاة قائلة: «**ماذا تريدين أن تبتاعي ياصغيرة؟**» كانت قد توقفت عن حياكة الصوف عندما خاطبت أليس ثم اخذت تحدق فيها من خلال نظارتيها.

ترددت أليس قليلاً ثم قالت: «**حقاً، لااعرف تماماً حتى الآن. انما اريد أن اتفرج والقي نظرة على ماعندك اذا سمحت، اي ان القي نظرة حولي**».

قالت الشاة: «**يمكنك أن تنظري امامك وكذلك على جانبيك، لكنك لاتستطيعين أن تنظري وراءك، إلاّ اذا كانت لك عينان في مؤخر رأسك**».

لم تكن لأليس عينان في مؤخرة رأسها فنظرت امامها وعلى جانبيها ثم استدارت لتنظر وراءها وترى ما على الرفوف في الحانوت وهي تقترب محدقةً بسبب الظلام.

بدا كأن ذلك الحانوت مليء بكل انواع الاشياء الغريبة والأغرب كلما نظرت أليس الى رفٍّ وانعمت النظر، ظهر لها الرف فارغاً والرفوف المحيطة به متكدسة ومليئة.

يئست أليس من النظر وقضت بعض الوقت تلاحق شيئاً كبيراً لماعاً وقع نظرها عليه وكلما امعنت النظر فيه بدا لها انه موجود على الرف التالي في جوار المكان الذي تحدق فيه فتنتقل نظرها الى ذلك الاتجاه والشيء ينتقل سريعاً الى مكان مجاور ويلوح لها كأنه دمية او صندوق العاب. وأخيراً، بعد ملاحقة استمرت دقيقة واكثر صاحت بصوت يائس: «**ان الاشياء تتحرك وتموع هنا. وهذا الشيء**

اكثر مايثير الاعصاب». اخيراً خطرت فكرة ببالها فقالت في نفسها: «سوف الاحق هذا الشيء حتى الرف الاعلى وسأحشره لأرى هل يظل يفر من وجهي، اتراه يصعد الى السقف، سأحيره وارى مايكون من امره». ولكنها الى تلك اللحظة اخفقت في عملها اذ انتقل ذلك الشيء الى السقف بكل سهولة وهدوء كأنه معتاد على ذلك.

تناولت الشاة سنارتين جديدتين والتفتت الى أليس وسألتها: «هل انت طفلة أم لعبة دوارة؟ انك تدورين على نحو سبب لي دوخة، الا تكفين عن الدوران؟». نظرت أليس الى الشاة وتملكها العجب اذ رأتها تحوك بأربعة عشر زوجاً من السنارات دفعة واحدة. تساءلت أليس: «ياللعجب كيف تستطيع ان تحوك بهذا العدد الكبير من السنارات ولا تنفك تتناول زوجاً فآخر، سيصبح شكلها شبيهاً بشكل القنفذ بعد قليل».

بعد برهة وجهت الشاة سؤالاً الى أليس: «هل تحسنين التجذيف؟»، قالت ذلك وهي تمد إلى أليس زوجاً من السنارات.

اوشكت أليس ان تقول: «نعم، قليلاً، وانما ليس على البر وكذلك ليس بالسنارات». لكنها جفلت عندما رأت السنارتين بين يدي الشاة تتحولان الى مجذافين ثم وجدت نفسها والشاة في قارب منساب على الماء بين ضفتي نهر صغير ولم تجد أليس أن في وسعها أن تفعل شيئاً فاستسلمت والتزمت الصمت.

صاحت الشاة: «ريشة». مدت يدها وتناولت زوجاً آخر من السنارات. تفرست أليس في وجه الشاة واحست انّ ما قالته لايستوجب جواباً اذ لم تفقه له معنىً، فابتعدت قليلاً وظلت صامتة. شعرت بأن هناك شيئاً غريباً في الماء، اذ بدا كأن المجداف يعلق به ولا يخرج إلّا بصعوبة، ترى هل يتجمد الماء بهذه السرعة؟. صرخت الشاة ثانية: «ريشة ريشة». وتناولت عدداً آخر من السنارات ثم التفتت الى أليس وقالت: «ستصطادين سرطاناً بعد قليل»، هتفت أليس فرحة: «اصطاد سرطاناً صغيراً جميلاً؟ كم احب ذلك...». عبست الشاة في وجه أليس وصاحت بها غاضبة: «ألم تسمعيني اقول «ريشة؟»». تناولت حزمة من السنارات فقالت أليس: «نعم سمعتك تقولين تلك الكلمة مرات عديدة بصوت قوي جداً، ولكن، اين السرطانات الصغيرة؟». تأملت الشاة وجه أليس وأجابت: «طبعاً في الماء، اين يمكن ان تكون؟». ثم شكت في شعرها عدداً

آخر من السنارات اذ لم تبق يداها تتسعان لأكثر مما فيهما، برغم ذلك صاحت: **«ريشة، انا اقول ريشة»**. ثارت أليس وردت بصوت صارم: **«لماذا تقولين "ريشة" هكذا، وماذا تقصدين بذلك؟ اتطلبين ريشة مني، هل أنا عصفور؟»**. تفرست الشاة في وجه أليس وقالت: **«بكل تأكيد، انك أوزة...»**.

استاءت أليس من ذلك ولم تجب وانقطع الحديث بين الاثنتين طويلاً والقارب ينزلق على الماء بهدوء ماراً بين مجموعات من الاعشاب المائية المتراكمة التي تزيد في صعوبة التجذيف (وكان المجذافان يعلقان بالاعشاب) ويمر احياناً تحت اغصان الاشجار المتدلية ضمن الضفتين الشاهقتين اللتين بدتا كأنهما لاتعبهان للقارب المنساب.

صاحت أليس فجأة: **«آه، من فضلك، هنا بعض نباتات القصب المائي العطرة، انها هنا، آه كم هي جميلة»**. وكانت تتراقص جذلاً في القارب، واذ الشاة تقول لها دون ان ترفع نظرها عن قطعة الصوف التي تحوكها: **«لايجدر بك ان تقولي لي "من فضلك" لأجل هذه النباتات، انا لم اضعها هناك فهي نبتت ولن اقلعها...»**. قالت أليس: **«طبعاً ولكني عنيت "من فضلك" لنتوقف لحظة كي اقطف بعضها. أذا لم يكن هذا يزعجك ارجو ان نتوقف قليلاً ليتسنى لي ان اقطع بعض القصبات ذات الاوراق الجميلة»**. قالت الشاة: **«كيف تريدين مني ان اوقف القارب، انك تجذفين، توقفي يتوقف القارب»**.

بقي القارب ينساب على الماء الهادىء كما يشاء بين نباتات القصب المتمايلة بغنج ودلال. وحيناً فآخر ذراع صغيرة بضّة ينكشف عنها الكم تمتد الى تحت السطح لتلتقط جذوع القصب قبل ان **تقطفها**، ونسيت أليس الشاة والحياكة وهي تنحني فوق حافة القارب لتقطف **اعواد القصب** وشعرها الطويل المتدلي يلامس الماء احياناً ويبتل، وهي لاتهتم **إلاّ بقطف اعواد القصب** ذات الرائحة العطرة ولا تبالي بالماء يبلل **شعرها الطويل**.

بدت لأليس على مسافة منها قصبة فارغة فاعجبتها وودت لو تقطفها وتساءلت: **«ترى هل ينقلب القارب بنا اذا تطاولت لأصل اليها؟ انها قصبة جميلة ولكنها أبعد من يدي أراها تتحداني»**. (هكذا تصورت أليس وقفة القصبة وتمايلها) وبرغم انها تقطف الكثير من الاعواد الجميلة كانت دائماً واحدة تستدعيها وتجتذبها. قالت لنفسها: **«دائماً اجمل واحدة منها تكون الأبعد»**.

وتغلبت على رغبتها في الوصول الى تلك القصبات البعيدة فتنهدت وانكفأت تعالج مابين يديها من الأعواد ترتبها حزمات صغيرة.

لكن المشكلة التي ظهرت أن تلك الأعواد اللدنة كانت تتلاشى وتذوب كقطع الثلج في جوّ حار وتتلاشى أيضاً رائحتها الزكية حين تقطفها. هذه الأعواد تذوي مسرعة حقاً فكيف اذا كانت في عالم الخيال، ولم تلاحظ أليس ذلك لأن كثيراً من الاشياء الغريبة كان يجري حولها بحيث ماعادت تأبه لأيّ شيء غريب وما ان قطع القارب مسافة غير بعيدة حتى علق المجذاف بالماء وعجزت أليس عن اخراجه، فشدت بكل قوتها دون جدوى (كما قالت أليس فيما بعد فحدث أن المجداف العالق قذف بأليس عن ظهر القارب في الماء بين أجمة ملتفة من اعواد القصب. لم تتأذَ وسرعان ماعادت الى مكانها في القارب وقد بقيت الشاة تحوك الصوف دون أن تلتفت، لكنها قالت لمّا جلست أليس في القارب: «التقطت سرطاناً جميلاً».

تعجبت أليس وصاحت: «صحيح؟ لم ارَ أيَّ سرطان». ثم نظرت في الماء الداكن من فوق حافة القارب واستطردت: «ليته لم يذهب، كنت أود لو اخذته معي الى بيتي». لم تقل الشاة شيئاً ولكنها ضحكت من كلام أليس واستمرت بحياكة الصوف. سألتها أليس: «هل السرطان كثير هنا؟» قالت الشاة: «سرطان، وعدد كبير من الاشياء المختلفة. فقط عليك أن تقرري ماتريدين شراءه».

صاحت أليس متعجبة: «اشتري؟» ثم اخذتها الدهشة لما رأت أن القارب والمجاذيف والنهر كلها قد اختفت كأنها لم تكن وفي مثل لمح البصر وجدت أليس نفسها في الحانوت الصغير المظلم.

استعادت أليس روعها والتفتت الى الشاة وقالت: «اريد أن اشتري بيضة من فضلك، بكم تبيعين البيض؟» اجابت الشاة: «البيضة بخمسة قروش والبيضتان بقرشين». قالت أليس: «اذن، الاثنان ارخص» واخرجت الحافظة من جيبها، فسارعت الشاة الى القول: «هنالك شرط، يجب ان تأكلي البيضتين اذا اشتريتهما». قالت أليس: «اذن اريد واحدة فقط». لأنها تصورت أن البيض ممكن أن يكون رديئاً ولن ترغب في اكله ثم وضعت النقود على ظهر الصندوق.

اخذت الشاة النقود والتفتت الى أليس: «اني لاأضع الاشياء في ايدي الزبائن ابداً، ذلك لايجوز، يجب عليك ان تأخذي ما اشتريت بنفسك». سارت الشاة

الى الناحية الأخرى من الحانوت وامسكت ببيضة ووضعتها على أحد الرفوف واقفة على عقبها.

تساءلت أليس في نفسها: «**اعجب من قولها أن ذلك لايجوز، لماذا لايجوز؟**». تقدمت بين الكراسي والطاولات تتلمس طريقها تلمساً فقد كان داخل الحانوت مظلماً. ظلت أليس تتلمس طريقها دون جدوى ثم صاحت: «**هذه البيضة تتهرب مني، كلما اقتربت منها اراها تبتعد، ثم ماهذا؟ هل هو كرسي؟ لكن له اغصاناً باسقة؟ ياللغرابة، هل تنبت الاشجار داخل الحانوت، ثم جدول صغير يجري، عجيب؟ إنه ولا شك اغرب حانوت رأيته في حياتي... ياللعجب**».

*

وظلت تتقدم وتتلمس طريقها وتزداد عجباً عند كل خطوة فكل ما تقترب منه يتحول حالاً الى شجرة وأيقنت أن البيضة ذاتها سوف تتحول الى شجرة حين تصل اليها.

الفصل السادس

هامبتي دامبتي

HUMPTY DUMPTYTHE



ظلت أليس تلاحق البيضة وظلت البيضة تكبر وتكبر وتقترب شيئاً فشيئاً من هيأة الأنسان، ولما دنت أليس منها مسافة امتار لاحظت أن لها عينين وانفاً وفماً، وحين اقتربت منها اكثر من ذلك رأت أن البيضة لم تكن سوى هامبتي دامبتي نفسه. قالت أليس: **«أجل، لايمكن أن تكون أيَّ شيء آخر،.وانا متيقنة كما لو كان اسمه مكتوباً على صورة وجهه»**.

نعم، كان ممكناً أن يكتب اسمه مئة مرة. بسهولة تامة فوق الوجه الضخم. كان هامبتي دامبتي يجلس وساقاه متشابكتان مثل الدرويش التركي على قمة جدار عال. والجدار من الضيق بحيث تعجبت أليس كيف استطاع أن يحفظ توازنه. وبما أن عينيه مسمرتان في الاتجاه المعاكس ولم يلتفت نحوها، حسبته أليس مجرد تمثال من قماش قد حُشي بالقش.

لم تتمالك أليس نفسها فصاحت وقد مدّت يديها لتمسك به متوقعة سقوطه: «**يا للعجب، ما اشبهه بالبيضة**». واذ بهامبتي دامبتي يقول بعد صمت طويل: «**ذلك مثير جداً ومزعج، كيف تقولين انا بيضة؟ هذا مزعج جداً . . . أن يدعى المرء بيضة**». كان يقول ذلك من غير أن ينظر الى أليس وكأنها ليست هناك. قالت أليس بلطف: «**أنا لم اقل إنك بيضة بل قلت تبدو كأنك بيضة، وأنت تعلم أن بعض البيض جميل**». كانت ترمي الى تحويل قولها الى نوع من المديح.

أجاب هامبتي دامبتي وهو يحول نظره عن أليس دائماً: «**بعض الناس ليس عندهم من الشعور مقدار ماعند طفل**».

لم تحر أليس جواباً ولم تعرف ماينبغي أن تقول في مثل هذا الموقف. كان واضحاً أن مايجري ليس محاورة بل ليس حديثاً فقالت إن ماتلفظ به هامبتي دامبتي لم يكن موجهاً اليها - بل بدا كأنه موجه الى شجرة وهو مايشير اليه تركيز نظره فتوقفت حائرة تردد أغنية قديمة تعلمتها:

«**هامبتي دامبتي جلس على جدار**
وسقط سقطة عظيمة
كل فرسان الملك، كل رجال الملك
عجزوا عن اعادة هامبتي دامبتي
الى مكانه».

كادت أليس تقول بصوت عال: «**إن البيت الاخير طويل جداً في الميزان الشعري**». وسها بالها عن أن هامبتي دامبتي يمكن أن يسمعها.

لأول مرة وجه هامبتي دامبتي نظره الى أليس مباشرة وقال: «**لا تقفي هناك جامدة** هكذا تتمتمين لنفسك، قولي لي ما اسمك وما شأنك وماذا تريدين؟».

قالت أليس: «**اسمي أليس ولكن**» - قاطعها هامبتي دامبتي بخشونة: «**إنه اسم سخيف جداً، فما معنى؟**» فقاطعته أليس متعجبة: «**هل ينبغي أن يكون للاسم معنى؟**» قال: «**بلا ريب**». ثم ضحك واضاف: «**إن اسمي يعني شكلي، وهو شكل جميل وذو مغزى، أما اسمك فممكن أن يعني أي شيء، تقريباً. . .**».

لم تشأ أليس أن تتابع المناقشة فقالت: «**لماذا تجلس هنا وحيداً هكذا؟**». رد هامبتي دامبتي: «**لماذا؟ لأنه ليس ثمة شخص آخر يجلس معي، أكنت تعتقدين أني لا اقدر أن اجد جواباً عن سؤالك، هيا، اسأليني سؤالاً آخر**». لم تكن أليس

لترغب في أن تثير أسئلة أو ألغازاً جديدة، لكنها سألته بدافع من طيبة قلبها وفاجئته عليه: «ألا تعتقد أن من الأسلم لك أن تجلس على الأرض؟ فالجدار ضيق جداً».
زمجر هامبتي دامبتي واجاب: «إن الأسئلة التي تسألينها سهلة جداً وليست ألغازاً على الاطلاق.. جوابي طبعاً يكون: «لااعتقد» ولو وقعت، على سبيل الافتراض، وهذا غير متوقع، ولكن اذا حدث». زمّ شفتيه ونظر الى أليس وعلى وجهه علامات الجد والاهتمام مما جعل أليس تضحك ثم استطرد: «ولكن اذا وقعت، فإن الملك وعد، يمكنك أن تمتقعي اذا شئت - لم تتوقعي اني سأقول ذلك - ها... لم تتوقعي؟ أن الملك وعدني، وسمعت ذلك من فمه، وعدني، نعم، وعدني ان...» تدخلت أليس قائلة: «أن يرسل كل فرسانه وخيوله وكل رجاله»... بمقاطعتها له اثارت نقمته فقال: «سيء جداً... كنت تتلصصين على الابواب وتسترقين السمع من وراء الاشجار، أو من مداخن البيوت، وإلّا كيف تسنّى لك، أن تعرفي هذا»؟. قالت أليس معتذرة: «كلا، لم اتلصص ولم استرق السمع في أي مكان لكن القول وارد في قصيدة قرأتها في كتاب...». انبسطت اسارير هامبتي دامبتي لدى سماعه وقال: «حسناً، انهم يكتبون هذه الاشياء في الكتب، أظنك قرأت هذا في كتاب التأريخ. والآن انظري اليّ، فأنا شخص تحدث الى الملك، نعم أنا كذلك. ربما لن يتسنى لك أبداً أن تري شخصاً غيري حادث الملك، ولكي أثبت لك أني لست متكبراً ولا فخوراً، اسمح لك بمصافحتي وهزّ يديّ». قال ذلك وانحنى ثم ابتسم ابتسامة عريضة امتدت من إحدى أذنيه الى الأخرى (وقد كاد يسقط لفرط ماانحنى في جلسته على الجدار). ومدّ يده الى أليس. مدت أليس يدها لمصافحته وهي تقول في نفسها: اذا اتسعت ابتسامته اكثر فإن فمه سيمتد حول رأسه من امام الى وراء فتلتقي زاويتا فمه، وعندما يحدث هذا لاادري ماذا سيصير برأسه، أرجح أنه سينفصل الى قسمين».

تكلم هامبتي دامبتي: «نعم، كل الفرسان وكل الرجال، وهؤلاء سيرفعونني بطرفة عين، نعم سيفعلون ذلك. ولكن هذه المحادثة تجري بسرعة فائقة - دعينا نعد الى الملاحظة قبل الأخيرة». ردت أليس: «اخشى أن أقول إني ماعدت أذكرها».
قال: «لابأس، في هذه الحالة نبدأ من جديد، وسيكون دوري ان أختار

الموضوع (قالت أليس في نفسها: «إنه يتكلم وكأننا نشترك في لعبة»)، **لذلك ألقي عليك سؤالاً، قلت لي كم عمرك؟»** بعد عملية حسابية قصيرة قالت: «**سبع سنوات وستة اشهر**». صاح: «**خطأ... لم تقولي لي قبل الآن كم عمرك... لم تذكري كلمة واحدة في هذا المعنى.**» قالت أليس: «**ظننتك تقصد سؤالي عن عمري**».
قال: «**لو كنت اقصد لسألت**». لم تشأ ان تبدأ مناقشة جديدة على هذا النحو فصمتت فقال هو: «**سبع سنوات وستة اشهر، آه إنه عمر غير مريح. لو كنت تطلبين نصيحتي لقلت لك، توقفي عند السابعة، انما تأخر الوقت كثيرا الآن**». ردت أليس بحنقٍ: «**انا لااطلب ابداً نصيحتك في شأن تقدمي بالسن**». أجاب قائلاً: «**إنك مكابرة...**»

أثارت ملاحظته هذه حنقها اكثر ولكنها ملكت نفسها وقالت: «**أعني ان ليس للانسان يد في تقدمه في العمر**». قال: «**انسان واحد لايقدر بالطبع، واذا تعاون اثنان يقدران، وهكذا كنت تستطيعين ان تتوقفي عند السابعة**».

تأملته أليس وقالت مغيرة وجه الحديث: «**ما اجمل الحزام الذي تلبس (كانت تقول في نفسها إنهما سئما الحديث عن الاعمار وجاء دورها لتختار موضوعاً ما، عفواً اعني ربطة العنق - بل هذا حزام. اعني - اطلب المغفرة، لا ادري -**)...
كانت أليس تتلعثم عندما رأت ان هامبتي دامبتي استاء وتمنت لو لم تدخل في هذا الموضوع فأخذت تلوم نفسها قائلة: «**لو كنت فقط استطيع أن اميز عنقه من خصره انه كروي**».

وضح ان هامبتي دامبتي كان مستاء جداً مما قالته أليس، فلزمت الصمت مدة طويلة وهو يحدق فيها عابساً واخيراً لما بدأ يتكلم بدا أن صوته يشبه الزمجرة، كان يقول: «**هذا مثير جداً، انه لأمر جلل ان لايعرف المرء ربطة العنق من الحزام اعتذرت أليس برقة قائلة: «كان ذلك جهلاً فاضحاً مني**». بدا ان هامبتي دامبتي قد قبل اعتذارها وتناسى غضبه وقال: «**إنها ربطة عنق ايتها الطفلة كما كنت تقولين. هي هدية من الملك الابيض والملكة البيضاء**».

سرت أليس من كلامه وقالت بابتهاج: «**صحيح؟**». تابع بجدية وعبوس: «**أعطياني إياها، نعم اعطياني إياها في مناسبة غير عيد الميلاد**»، قال ذلك وهو يضع ساقاً على ساق ويشبك راحتيه فوق ركبتيه. سألته أليس بدهشة: «**عفواً، لم افهم ماقلت؟**» رد هو: «**انا لست مستاءً منك**». قالت: «**اعني لم افهم ماتقصد**

بقولك «في غير عيد الميلاد، مامعنى هذا؟».

قال: «معناه هدية تقدم في غير مناسبة عيد ميلاد، طبعاً قالت: «انا احب هدايا اعياد الميلاد كثيراً». قال: «انك لاتفهمين ماتقولين، قال وكم عيد ميلاد لك؟». قالت: «واحد». قالت: «اذا اخرجت واحدا من ثلاثمئة وخمسة وستين، كم يوماً يبقى؟» قال: «افضل ان ارى هذا الحساب على الورق».

ابتسمت أليس ثم اخرجت دفتر مذكراتها ثم وضعت العملية الحسابية:

اخذ هامبتي دامبتي الدفتروأنعمفيه النظر ثم رفع رأسه قائلاً: «يبدو أنها عملية حسابية صحيحة...». قاطعته أليس: «ولكنك تمسك بالدفتر مقلوباً، قد وضعت اعلاه في اسفله». أمسكت أليس بالدفتر وقلبته في وضعه الصحيح، فانفرجت اسارير هامبتي دامبتي وقال بسرور ظاهر: «في الواقع كنت أمسك به مقلوباً، فظننت أن شيئاً غريباً وقع في العملية، ولكن كما كنت اقول، يبدو ان العملية الحسابية صحيحة، وليس لدي متسع لكي ادقق فيها في الوقت الراهن. والعملية تظهر لك أن هناك ٣٦٤ يوماً في السنة تستطيعين فيها ان تتلقي هدايا غير عيد الميلاد». قالت: «بكل تأكيد» قال: «بينما هناك يوم واحد تتلقين فيه هدية عيد ميلاد كما ترين... وفي هذا «مجد» لك». قالت: «لاادري ماذا تعني بالمجد لي، ايّ مجد؟». قال بلهجة ساخرة: «طبعاً لاتدرين حتى افسّرَ انا لك. كنت اقصد ان في ذلك «مناقشة ساحقة لك» اعترضت أليس: «ولكن كلمة «مجد لاتعني مناقشة ساحقة على أية حال». قال: «عندما اقول كلمة فإنها تعني ما اختار انا لها من معنى، لااكثر ولا اقل». قالت: «المسألة أنك تستطيع ان تعطي اية كلمة معاني مختلفة».

قال: «بل المسألة هي من هو السيد المطاع - ذلك كل شيء». حارت أليس فيما تقول فلم تتفوّه بكلمة في حين انطلق هامبتي دامبتي يقول: «إن لبعض الكلمات طباعاً - لنأخذ مثلاً - الافعال... انها اشد الكلمات كبرياء وتعالياً، ان النعوت سلسلة، ويمكن للمرء ان يفعل بها أي شيء أما الافعال فليست كذلك البتة. ولكني استطيع ان اتدبر الكثير منها واسلس قيادها. انها منغلقة - هذا هو التعبير الذي اطلقه عليها». قالت أليس: «هل لك ان تتفضل وتشرح لي تماماً ماذا تعني

بهذه العبارة؟» قال: «أرى انك تتكلمين الآن كطفلة واعية . . . اعني «بالمنغلقة» اننا ختمنا الحديث في هذا الموضوع فأضحى منغلقاً ويجب ان نتجاوزه، لذا يجب ان تقولي لي ماذا تريدين ان تفعلي الآن، ليس معقولاً ان تظلي هنا طول حياتك».

قالت أليس: «يبدو لي ان هذا معنى فضفاض جداً، ولا ادري كيف يمكنك ان تعطي كلمة واحدة كل هذه المعاني». قال: «عندما اكلف كلمة ان تقوم بهذا المقدار الكبير من المشقة فأنا ادفع إليها اجراً اضافياً دائماً». ارتج على أليس ولم تستطع ان تقول سوى: «آه. . .». بينما استطرد هو بصوت جادّ يهز رأسه يمنة ويسرة: «يجب ان تأتي مساء السبت لتريها محتشدة امامي تطالب بدفع اجورها» (لم يذكر هامبتي دامبتي ماذا كان يدفع لها من أجور وأية عملة يستخدم لتسديد أجور الكلمات التي يستخدمها، «لهذا اعتذر منك لأني لااستطيع ان اخبرك».

قالت أليس رغبة في تغيير موضوع الحديث: «اني احب الشعر، ولكني لاافهم بعض التعبيرات والكلمات، هناك قصيدة عن مخلوقات عجيبة انوفها واذنابها حلزونية كمفتاح سدادات الفلين. وهناك قصائد تتحدث عن اشياء لانعرفها ولكن لماذا يكتبون مثل تلك الكلمات الصعبة، لاافهم لماذا يستعملونها في الشعر».

قال هامبتي دامبتي: «لاتقلقي، انا اعرف كل ما قيل من شعر حتى الآن وكذلك كل ماسيقال. واذا كنت تحبين الشعر فإني اروي لك. . .».

ندمت أليس على اثارة الموضوع وقالت مستدركة: «اوه، لا ضرورة لذلك، لاتتعب نفسك». فلم يأبه لاعتراضها هذا بل تابع: «هذه القطعة التي ارويها لك نظمت من اجلك أنت». شعرت بأنها في هذا الموقف يجدر بها ان لاترفض فقالت بشيء من الأسى مستسلمة: «اذا كان الأمر كذلك فلا بأس وشكراً لك».

بدأ هامبتي دامبتي الانشاد:

«في الشتاء عندما تكتسي الحقول

حلتها البيضاء

أنشد هذه الأغنية لأجل تسليتك»

توقف عن الانشاد ليقول: «ان صوتي ليس للغناء، ولكني اروي الشعر انشاداً».

قالت أليس: «شكراً استطيع ان ارى ذلك». رد هامبتي دامبتي بصوت صارم: «اذا كنت تقدرين ان «تري» غنائي وانشادي فإن لك عينين أحدّ من عيني الصقر».

لم تقل أليس شيئاً فتابع :

«**وفي الربيع عندما تكتسي الحقول**
ثوبها الأخضر
سأحاول ان اخبرك ماذا اقصد» .

قالت أليس : «**شكراً لك**» :

«**وفي الصيف عندما يطول النهار ربما تصبحين قادرة على فهم شعري**
في الخريف عندما تصفر أوراق الاشجار
خذي قلماً وورقة واكتبي قصيدتي» .

قالت أليس : ـ «**سأفعـل اذا بقيت اتـذكـرهـا بعد الوقت الطويل**» . قال : «**يجب ان تكفي عن هذه الملاحظات فإنك تضعضعين افكاري**» ، ثم تابع :

«**ارسلت رسالة الى السمكة**
اقول لها : «هذا ما اريد
والسمكات الصغيرات في البحر
ارسلت اليّ جواباً عن برقيتي
وكان جواب السمكات الصغيرات
«**لانستطيع ذلك يا سيدي، لأنّ**» .

قاطعتـه أليس قائلة : «**لاافهم هذا الشعـر**» . رد هامبتي دامبتي قائـلاً : «**سيصبح اسهل كلما تقدمنا في الانشاد وتابع** :

«ارسلت اليهن رداً اقول فيه :
من الافضل لكن ان تطعن اوامري»
فردت السمكات الصغيرات وهن
يبتسمن :
«**لماذا أنت ثائر الاعصاب هكذا؟**»
أمرتهن مرة، امرتهن مرتين
أبين الاصغاء لنصيحتي.
اخذت طستاً كبيراً جداً
للغرض الذي ابغيه منه
فخفق قلبي يقول : «هوب»، وخفق

ايضاً يقول: «توب»
وملأت الطست من المضخة . . .
ثم جاءني أحدهم متوسلاً وقال:
«ان السمكات الصغيرات ذهبن الى الفراش»
فقلت له، بكل اصرار ووضوح:
«يجب عليك ان توقظهن في الحال
نعم قلت ذلك بصوت عال وقوي
وصرخت في أذنه تماماً».

هنا كان صوت هامبتي دامبتي قد ارتفع حتى بلغ حد الصراخ فقالت أليس في نفسها: «لن اكون رسولة لأحد مهما كان اجري». تابع هو قائلاً:

«ولكنه كان رجلاً قاسياً ومتكبراً»
فقال لي: «لاداعي لكي تصرخ في اذني هكذا»
كان قاسياً ومتكبراً كثيراً
وقال: «كنت اوقظهن من النوم
لولا . . .»
فاخذت مفتاح سدادات الفلين من الرف
وذهبت لاوقظهن بنفسي
ولما وجدت الباب مقفلاً
اخذت اجذب واشد واقرع وارفس
وجدت الباب مازال مغلقاً
فحاولت ان ادير المقبض،
ولكن . . .»

توقف هامبتي دامبتي عن الانشاد ومرت دقائق دون ان ينبس فسألته أليس: **«هل انتهت القصيدة؟»**. قال بلا مبالاة: **«نعم، انتهت وهذا كل شيء، وداعاً أيتها الصغيرة»**.

كان قوله مفاجئاً لها، فترددت وهلة، ولكن بقوله **«وداعاً»** شعرت به يريد منها ان تذهب وما كان من اللائق اذن ان تبقى، فنهضت ثم مدّت يدها اليه مودعة وهي

تقول: «**وداعاً الى ان نلتقي ثانية**». قصدت ان تكون لهجتها ودية للغاية فاكتفى بمد اصبع واحدة من يده اليها وهو يقول بلهجة المتشائم: «**اذا التقيتك مرة أخرى فلن اعرفك، ان منظرك لايختلف عن سائر الناس. . .**»

قالت أليس: «**ان الناس تعرف من وجوهها، فالوجه هو المميز بين شخص وآخر**»، فقال: «**إنِ ذلك هو المشكلة، وهذا ما اشكو منه، وجهك مثل وجوه بقية الناس ـ** عينان (وكان يشير الى الاشكال التي يتحدث عنها برسم صورها في الهواء بابهامه، **وفي الوسط أنف وتحته فم. كلكم متشابهون ولكم السيماء نفسها. فلو كانت عيناك، مثلاً، على جانب واحد من انفك، أو لو كان فمك فوق الأنف، لربما كان هذا يساعد في التعرف اليك. . .**».

اعترضت أليس بشدة قائلة: «**لن يكون ذلك مناسباً، سيكون بشعاً جداً. . .**»، فقال وهو يغمض عينيه: «**لاتجزمي مسرعة، انتظري حتى تجربي ذلك. . .**»

انتظرت أليس لترى هل يتكلم بعد ذلك، فبقي مغمض العينين لايفوه بكلمة ولا يبالي. قالت: «**وداعاً**» ثانية وانتظرت، ولما لم يتحرك أو يرد عليها سارت بهدوء مبتعدة عنه وهي تقول: «**من بين كل غريبي الطباع الذين رأيتهم** (كانت تردد كلمة غريبي الطباع بصوت عال لأنها شعرت بارتياح لاستعمال التعبير العظيم) **من بين كل غريبي الطباع الذين رأيتهم، لم اجد من هو. . .**».

لم تكمل الجملة، ففي تلك اللحظة سُمِعَ دويّ مخيف بدا كأنّ الغابة اهتزت له.

الفصل السابع
الاسد ووحيد القرن

على اثر ذلك الدوي رأت أليس الجنود يقتحمون الغابة ـ جاءوا أولاً كل اثنين أو ثلاثة معاً، ثم كل عشرة أو عشرين معاً، وأخيراً ظهر الجنود حشوداً كثيفة حتى ملأوا الغابة كلها. أما أليس فسارعت الى الاختباء وراء شجرة خوفاً من ان يدوسها هؤلاء في عدوهم، ، جيئة وذهاباً. فكرت أليس أنها لم ترَ في حياتها جنوداً أضعف وأوهن من هؤلاء فما يكاد أحدهم يسير مسافة حتى يتعثر ويسقط أرضاً وحالاً يتساقط فوقه رفاقه متكومين حتى اكتست أرض الغابة بالجنود المنبطحين يغطونها باجسادهم.

ثم ظهرت الخيول. كان أشد قوة من الجنود برغم أن بعضها كان يعثر حيناً فآخر، وبدا أن قاعدة عامة تنطبق عليها جميعاً، وهي أن يسقط الجندي عن ظهر حصانه ما أن يتعثر الحيوان. دبت الفوضى في الغابة وازدحمت بالجنود والخيول مما حدا بأليس أن تطلب النجاة هرباً من المكان الخطر، فركضت تبغى الانطلاق الى أرض

أمن وسرت عندما رأت أنها قد خرجت من الغابة وبلغت أرضاً فضاء، خالية إلّا من الملك الأبيض الذي كان جالساً وهو غارق في الكتابة في دفتر مذكراته.

نظر الملك الى أليس وقال لها بصوت مرح: «**أنا الذي ارسلهم كلهم. هل صادفت يا عزيزتي جنوداً وخيولاً وأنت خارجة من الغابة؟**». أجابت أليس: «**نعم صادفت ألوفاً منهم كما اعتقد**». انعم الملك النظر في دفتره ثم رفع رأسه وقال: «**اربعة آلاف ومئتان وسبعة فقط، ذلك هو العدد الصحيح بالتمام**». صمت لحظة ثم استطرد: «**لم أكن قادراً على ارسال كل الخيول كما تعلمين لأن لعبة الشطرنج يلزمها فرسان كما يقولون. ولم ارسل اثنين من الرسل، لأنهما ذهبا الى المدينة. رجاءً، تطلعي الى الطريق وقولي لي هل تستطيعين رؤية أيٍّ منهما آتياً**». تطلعت أليس مستكشفة وقالت: «**لاأحد على الطريق**». قال الملك بنبرة حادة: «**لاأحد؟. أنت ترين «لاأحد»، أتمنى لو كانت لي عينان كعينيك تريان «لاأحد». عجيب؟ أنت تستطيعين رؤية «لاأحد» على مسافة بعيدة في هذا النور الباهر حين أجهد عيني لكي أرى أحداً في تلك المسافة**». لم تفهم أليس ما كان يقول وبقيت تنظر نحو الطريق البعيد، تظلل ناظريها بكفيها من وهج النور الساطع ثم صاحت: «**آه، الآن أرى أحداً... ولكنه يسير ببطء، ويمشي مشية غريبة**». (كان الرسول يقفز في الهواء ثم يتلوى كالحية ويبسط ذراعيه كأنهما مروحتان على جانبيه). قال الملك: «**لاغرابة، إنه رسول آنكلو سكسوني، وهي مشية الآنكلو سكسون. إنهم يمشونها عندما يكونون فرحين. إن اسمه هايو. وعندي رسول آخر اسمه هاتا... احتاج الى رسولين للذهاب وللاياب، واحد للذهاب وآخر للاياب**».

قالت أليس: «**استجدي عفوك ياصاحب الجلالة، لم افهم ماتقول**». عبس الملك وقال: «**ليس من اللائق أن تستجدي... الاستجداء معيب**». قالت أليس: «**إنه مجرد تعبير، كنت أعني أنني لم افهم قصدك، لماذا تحتاج الى واحد للذهاب وآخر للاياب؟**». غضب الملك لسؤالها وقال: «**ألم اقل لك؟ يجب أن يكون عندي اثنان واحد ليبحث عما أريد وآخر ليحمل مايعثر عليه ذاك ويحمله**».

في هذه اللحظة وصل الرسول وكان يلهث لفرط التعب بحيث لم يستطع أن يقول كلمة، فأخذ يشير بيديه في وجه الملك المسكين. حاول الملك أن يلفت نظر الرسول الى أليس فقال له: «**هذه فتاة غريبة وهي تحب حركاتك**». ولكن الطبع الانكلوسكسوني ظل غالباً على الرسول فاكتفى بأن حدق فيها بعينين واسعتين

يقلبهما دون أن يفوه بكلمة فأضاف الملك: «**إنك تخيفني أيها الرسول. . . أشعر بالدوخة، اسرع وآتني بشطيرة من اللحم. . . إني منهك**».

ما كان من الرسول عند سماع الأمر إلاّ ان مدّ يده الى جراب يحمله متدلياً برباط حول عنقه واخرج رغيفاً ملفوفاً على قطعة من اللحم وقدمه الى الملك فالتهمه هذا مسرعاً. وما كاد يفعل حتى صاح بالرسول: «**اسرع، ناولني رغيفاً آخر**». فتح الرسول الجرابَ ونظر في داخله ثم رفع رأسه ليقول: «**عفواً، ياسيدي، لم يبقَ في الجراب سوى بعض التبن**». **فتح الملك عينيه وتمتم**: «**تبن؟**». مدّ يده داخل الجراب واخرج حفنة من التبن راح يلتهمها وهويقول متطلعاً الى أليس: «**لاشيء يوازي التبن عندما يكون المرء منهكاً**». قالت أليس: «**أرى ان تتناول شيئاً من الدواء المقوي، وأن تأخذ حماماً بارداً، إن تلك وسيلة أفضل لكي تكون نشيطاً**».

رد الملك بنزق صائحاً: «**انا لم أقلِ ليس هناك ماهو «أفضل»، بل قلت لاشيء يوازي التبن**». صمتت أليس اذ لم يكن في وسعها ان تنكر هذا.

التفت الملك الى الرسول وقال وهويمد يده طلباً للمزيد من التبن: «**بمن مررت على الطريق؟**». تطلع الرسول الى الملك وقال: «**لاأحد**». فانفرجت اسارير الملك وقال: «**صحيح، وهذه الفتاة أيضاً رأته، اعني رأت هذا اللأحد الذي صادفته انت**».

انقبض وجه الرسول وقال: «**ياصاحب الجلالة، اني ابذل جهدي. وانا واثق ان «لاأحد» يستطيع أن يبزني بالسير و«لاأحد» يمشي اسرع مني**». اجاب الملك: «**طبعاً، لوكان «لا احد» هذا يسير اسرع منك لكان وصل قبلك. على أي حال، وبما انك التقطت انفاسك الآن هات حدثنا عما رأيت في المدينة**». قال الرسول: «**سأهمس في اذنك**»، وضم كفيه بحيث اصبحتا على هيأة بوق يتحدث همساً في اذن الملك. وأسفت أليس لأنها كانت متشوقة الى سماع اخبار عما يجري في الخارج. لكنها جفلت فجأة عندما سمعت الرسول، بدلاً من أن يهمس، يزعق في أذن الملك: «**انهم عادوا اليها مرة اخرى**». قفز الملك في الهواء مرتاعاً وقال: «**هل تعتبر هذا الصوت الداوي همساً؟ اذا فعلت ذلك ثانية سأجعلهم يحطمون رأسك. ياللهول، اخترق صوته رأسي من أذن الى اخرى كأنه الرعد. لقد احدث في رأسي زلزالاً. . .**». علقت أليس، محاولة تهدئة غضب الملك: «**لابد انه كان زلزالاً**

صغيراً يا صاحب الجلالة اذ انه بقي في داخل رأسك. على كل حال اسمح لي ان اسألك من هم اولئك الذين عادوا اليها؟»

نظر الملك اليها ثم اجاب: «**من هم؟ طبعاً، الأسد ووحيد القرن**. (وحيد القرن حيوان اسطوري على هيأة حصان انما له في وسط جبهته قرن دقيق طويل وهو غير الحيوان الافريقي الذي له في رأس انفه قرن صغير معقوف واسمه الصحيح ـ كركدن).

سألت أليس: «**تعني انهما عادا الى الاقتتال في سبيل التاج؟**» قال الملك: «**نعم، بكل تأكيد، والمضحك انهما يحتربان من أجل التاج، والتاج يبقى ملكي مهما احتربا. دعي عنك هذا الآن وتعالي نركض لنشاهد المعركة**». انطلق الملك وأليس يركضان فيما هي تردد في ذهنها تلك الأغنية القديمة التي تعلمتها:

«الأسد ووحيد القرن كانا يتقاتلان
من أجل التاج
وغلب الاسد وحيد القرن وقذف به
دائراً حول المدينة
بعضهم قدم الى المحتربين خبزاً ابيض،
وبعضهم قدم خبزاً اسمر
وكذلك فطيرة بالخوخ ـ ولكنهم
طردوهما من المدينة بقرع
الطبول».

كانت أليس تلهث تعباً ولكنها تمكنت من طرح سؤال على الملك الراكض الى جانبها: «**هل ينال المقاتل الرابح التاج؟**» انفجر الملك صائحاً: «**كلا، قطعاً، رباه ما هذه الفكرة المخيفة؟**». قالت أليس وهي تحاول بجهد ان تتمالك نفسها: «**هل تتفضل ـ، هل تقف لحظة لأتمالك؟**». قال الملك: «**اني صاحب فضل بلا شك، ولكن ليست لي القدرة، ان اللحظة تمر مسرعة سرعة هائلة، ـ ايقاف قاطرة اسهل من ايقاف لحظة. . . .**».

كانت أليس تلهث وغير راغبة في خوض جدل فآثرت الصمت وتابعت ركضها والملك حتى بلغا ساحة احتشد فيها جمع كبير حول اسد ووحيد القرن يحترباب.

كان غبـار المعـركـة كثيفـاً بحيث ان أليس لم تتمكن في البداية من تمييز الاسد من وحيد القرن، ولكن سرعان ماعرفت وحيد القرن من القرن البارز في جبهته.

تقـدم الملك وأليس ووقفـا بقـرب الـرسـول الثاني هاتا وكان يراقب الصراع وهو يمسك بفنجان شاي في يد وقطعة من الخبز محشوة بالزبدة في يد..

همس الـرسـول الأول هايـو في اذن أليس: «**انـه خارج لتـوه من السجن حيث لايطعمـونهم سوى قشـور القريدس ـ فهو جائع جداً وظامىء**». ثم التفت الى هاتا ولفّ ذراعـه حول عنقـه بمحبـة وقال: «**كيف حالك ايها الصغير العزيز؟**» لم يجب هاتـا، نظـر اليـه وهز رأسه ثم تابع أكل الخبز والشاي. سأله هايو: «**هل كنت سعيداً في السجن. ايهـا الطفـل العـزيـز؟**». لم يجب هاتـا، والتفت الى هايـو ثانيـة وقد تدحـرجت دمعتـان على خديـه دون أن ينطق. صرخ هايـو إذ نفـد صبـره: «**تكلم ياهـذا، ألا تقـدر أن تقـول شيئاً؟**». لم يرد هاتا بحرف بل ظلّ يقضم الخبز ويشرب الشاي صامتاً كأنه من صخر.

هنـا نهـر الملك هاتـا قائـلاً: «**هيـا تكلم، كيف تجـري المعركة؟**» فوجىء هاتا فازدرد قطعة كبيرة من الخبز كاد يختنق بها ثم قال: «**انهما يحتربان بقوة وجلد، الى الآن سقط كل منهما في حلبة الصراع سبعاً وثمانين مرة**».

علقت أليس بالقول: «**اذن، حان الوقت لكي يأتوهما بالخبز الابيض ثم بالخبز الاسمـر، كمـا جاء في الأغنيـة**». رد هاتـا قائـلا: «**نعم، حان الوقت وهما ينتظران ذلك، الآن، وهذا جزء من التقدمة ـ هذا الخبز الذي أأكله انا الآن**».

فجأة توقف الأسـد ووحيـد القرن عن الاقتتال وجلسا يلهثان على الارض فصاح الملك: «**استـراحـة عشر دقائق لتناول المرطبات**». حالاً انطلق هايو وهاتا فاحضرا كميات من الخبز الابيض والخبز الاسمر ودارا بها على الجميع. اخذت أليس قطعة تذوقها فوجدتها جافة جداً ولم تستطع ان تزدردها.

التفت الملك الى هاتا وقال: «**لااعتقد انهما سيتابعان القتال اليوم، اذهب وادعُ قارعي الطبول ليبدأوا**». فانطلق هاتا يقفز مرحاً كأنه الجندب.

مضت دقـائق وأليس صامتـة تراقب الملك. وفجأة صاحت به مبتهجـة: «**انظـر انظـر، تلك هي الملكـة البيضاء تركض في الحقول، انها تخرج طائرة من الغابة، يالهؤلاء الملكـات كيف يطـر ن مسـرعات بسرعة لاتصدق؟**» اجاب الملك من غير

أن يلتفت: «**لابد أن عدواً يطاردها ـ ان الغابة مليئة بالاعداء**». فوجئت أليس بقول الملك وعجبت من برودة اعصابه وعدم نخوته فقالت: «**ولكن ألا تبادر راكضاً لملاقاتها ومساعدتها؟**». لكنه لم يتحرك بل قال: «**لافائدة، لافائدة، انها تركض بسرعة مذهلة، اسهل عليك ان تلحقي بقاطرة مسرعة من ان تلحقي بها. ولكني سأدون هذه الحادثة في مذكراتي اذا شئت. انها مخلوق محبب ولا ريب**». فتح الملك دفتر مذكراته ليكتب، لكنه توقف وسأل أليس: «**كيف تتهجأين كلمة (مخلوق)؟ بحرف واو أم بدونه؟**».

في هذه اللحظة اقترب وحيد القرن من أليس والملك ومرّ بجانب الأخير ملقياً عليه نظرة عابرة وهويقول: «**هذه المرة كنت انا الفائز**». التفت الملك اليه وقال: «**رويداً، رويداً، ماكان يجدر بك ان تنطحه بقرنك، كما تعرف**». قال وحيد القرن: «**ولكني لم أُسبب له أيّ ضرر**». كان يتكلم بلا مبالاة وفجأة وقع نظره على أليس فاجفل وقال بامتعاض بالغ: «**ماهذه؟**». تدخل هاتا حالاً ووقف بين وحيد القرن وأليس ليعرفه لها باسطاً يديه على الاسلوب الانكلوسكسوني قائلاً: «**انها طفلة، عثرنا عليها اليوم، انها في الحجم الطبيعي ولكن لها من الحيوية ضعف المقدار الطبيعي**». قال وحيد القرن متفرساً في أليس: «**كنت اظن دائماً ان الانسان مخلوق اسطوري. هل هي حية؟**». فكر هاتا قليلاً وأجاب: «**انها تتكلم**». نظر وحيد القرن الى أليس وقال متحبباً: «**تكلمي ايتها الطفلة**». افترت شفتا أليس عن ابتسامة حلوة وقالت بصوت رقيق: «**هل تعلم أني كنت دائماً اعتقد ان وحيد القرن مخلوق اسطوري أو خرافي ايضاً، ولم ارَ قبل اليوم وحيد قرن على قيد الحياة...**». فكر وحيد القرن لحظة ثم قال: «**مادمنا التقينا الآن فإني سأؤمن بوجودك وانت بوجودي، هل اتفقنا؟**». قالت أليس: «**لامانع عندي اذا شئت.**» تحول وحيد القرن عن أليس ملتفتاً الى الملك وهويقول: «**تعال، جئنا بفطيرة الخوخ أيها الرجل، لااريد شيئاً من خبزك الاسمر هذا**».

قال الملك: «**طبعاً في الحال، هيا يا هايو، افتح الجراب**»، ثم اقترب منه هامساً: «**ليس هذا الجراب أيها الغبي، هذا مليء بالتبن**».

اخرج هايو فطيرة كبيرة من الجراب واعطاها لأليس لكي تمسك بها ويخرج هو سكيناً وصحفة كبيرة يضعها عليها. عجبت أليس كيف أخرج هايو الفطيرة من

الجراب وظنت أنه فعل كما يفعل السحرة باخراج اشياء من اماكن لاتتسع لها.

اقترب الاسد من أليس والملك وهاتا في هذا الوقت، وكان يبدو عليه الاعياء والنعاس وعَيناه نصف مغمضتين. ثم حدق في أليس متسائلاً بصوت أجوف كأنه قرع جرس الحزن: «آه ما هذه؟». صاح وحيد القرن جذلاً: **«آه، ما هذه؟ لن تحزر ابداً، وانا لم احزر كذلك»**. تفحص الاسد وجه أليس جيداً ثم سأل: «هل أنت حيوان، أم نبات، أم جماد؟» ثم تثاءب كأنه على وشك ان يغفو. قبل ان تستطيع أليس الأجابة صاح وحيد القرن: **«انها مخلوق اسطوري أي خرافي»**. لم يهتم الاسد بالجواب بل قال: **«اذن، قدمي الينا فطيرة الخوخ أيتها المخلوقة الخرافية»**. ربض الاسد وقد وضع رأسه على قائمتيه الأماميتين ثم استطرد: **«اجلسا انتما ايضاً** (وكان يخاطب الملك ووحيد القرن) **ولنكن جميعاً منصفين في التهام فطيرة الخوخ»**. لم يكن الملك مرتاحاً للجلوس بين حيوانين ضخمين كهذين، لكنه لم يجد مفراً إذ لم يجد مكاناً غيره ليجلس فيه. وجَعَلَ الملكُ يرتجف هلعاً ويهتز حتى كاد التاج يسقط عن رأسه فنظر وحيد القرن اليه بخبث وقال: **«أي قتال سنخوض الآن من أجل التاج»**. قال الاسد: **«سأكون الفائز بلا ريب»**. ردّوحيد القرن هازئاً: **«يجب ان لاتكون واثقاً الى هذا الحد»**. ثار الاسد وزأر: **«كيف؟، ألم اغلبك واقذف بك حول المدينة؟ أيها الرعديد»**. حاول الاسد ان يقف للمبارزة لكن الملك تدخل لفضّ الخلاف خوفاً من اندلاع الصراع ثانية، فقال متسائلاً: **«حول المدينة كلها؟ تلك رحلة طويلة بلا شك، هل ذهبتما عبر الجسر القديم ام السوق؟ كان الافضل لو سلكتما طريق الجسر القديم حيث يتسنى لكما رؤية المدينة في اجمل منظر»**. قال الاسد: **«لااعرف بالتأكيد، كان غبار المعركة يعمي البصر وتتعذر الرؤيا تماماً. على أي حال لماذا تتأخر هذه المخلوقة الخرافية عن تقطيع الفطيرة وتقديمها»**.

جلست أليس على ضفة جدول صغير والصحفة على ركبتها وهي تجد لكي تقطع بالسكين فطيرة الخوخ ثم صاحت:

«انه لأمر مثير (قالت هذا متجاهلة دعوة الاسد لها بالمخلوقة الخرافية اذ كانت اعتادت هذه التسمية)، **إنه مثير جداً، كلما فصلت قطعة من هذه الفطيرة تعود وتلتصق كما كانت. ماذا اصنع؟»**.

قال وحيد القرن ناصحاً: **«انك لاتعرفين كيف تقطعين فطائر عالم المرآة، هنا**

تقدم الفطيرة أولاً ثم تقطع».

بدا القول لأليس سخيفاً سخفاً مابعده سخف لكنها اطاعت فنهضت وقدمت الصحفة الى الموجودين واذا الفطيرة تنفصل من تلقاء نفسها الى ثلاث قطع من غير ان يلمسها احد. صاح الاسد: «**الآن قطعيها**» نظرت أليس اليه وعادت الى مكانها واضعة الصحفة الفارغة على ركبتها. كانت في حيرة بالغة وهي تمسك بالسكين ولا تدري مايجدر بها ان تفعل عندما صاح وحيد القرن: «**هذا ليس انصافاً على الاطلاق، انا اصرّ على القول انه ليس انصافاً، اعطت المخلوقة الخرافية الاسد حصة تزيد عن حصتي مرتين**». اعترض الاسد قائلاً: «**لكنها لم تترك لنفسها قطعة، ألا تلاحظ؟**» ثم التفت الى أليس وسألها: «**هل تحب فطائر الخوخ أيها المخلوق الخرافي؟**».

قبل ان يتسنى لأليس ان تجيب، سمع قرع الطبول وارتج المكان من الدوي. لم تستطع أليس ان تعرف مصدر تلك الأصوات، اذ بدا ان الهواء يهتز وقرع الطبول يدوي كالرعد، أحست كأنها فقدت حاسة السمع وأصم الدويّ اذنيها. نهضت مسرعة وقفزت فوق الجدول الصغير مرتاعة.

*

فيما هي تقفز لمحت الاسد ووحيد القرن ينهضان في غضب شديد لأن وليمتهما لم تكتمل ودوي الطبول نغص عليهما أكل الفطيرة الشهية، فجثت على ركبتيها وقد وضعت يديها على أذنيها لتردّ عنهما الدويّ الهائل دون ان تفلح، وجعلت تفكر أذا لم يكن قرع الطبول كافياً لطردهما من المدينة فلن يكون في الدنيا شيء كافٍ.

صار قاب قوسين منها، توقف ثمة شاهراً هراوة غليظة، وصاح: «**انت سجينتي، أسرتك، انت أسيرة**»...

ولكن ماكاد يتم جملته حتى هوى عن جواده الى الارض.

برغم هول المفاجأة، والقلق الذي ساورها، خشيت أليس على الفارس الذي سقط عن جواده اكثر مما خشيت على نفسها، فوقفت تراقبه وهو ينهض ثم يمتطي صهوة جواده بشيء من الجزع. ما ان استقر الفارس ذو الثياب القرمزية على سرج جواده حتى بدأ بالكلام: «**أنت أسـ...**» لكنه لم يكمل الجملة، إذ تعالى فجأة صوت آخر: «**ها، ها، قف مكانك**»، فنظرت أليس وراءها لترى من ذلك العدو

الجديد المغير عليها. فلم تجد سوى الفارس الابيض.

اقترب الفارس من أليس وشد عنان جواده، وإذا به يهوي عن ظهر جواده على النحو الذي حدث للفارس الاحمر، غير أنه سرعان ما نهض وامتطى جواده ثم وقف الفارسان ينظر كل منهما الى الآخر دون ان يقولا شيئاً. كانت هي تنقل نظرها بدهشة وتعجب. اخيراً تكلم الفارس الاحمر «**انها اسيرتي**»، ردّ الفارس الابيض بحزم «نعم ولكني جئت وانقذتها منك» قال الفارس الاحمر: «**حسناً، اذن، نحترب على أخذها**». اخذ خوذته (وكانت معلقة برباط متصل بسرج الجواد ولها رأس حصان) واعتمرها. اعتمر الفارس الابيض خوذته ايضاً وهو يقول: «**نراعي اصول المبارزة بالطبع**». رد الفارس الأحمر: «**انا دائماً اراعي الاصول**» ثم اندفعا يتقاتلان بحماسة وقوة حتى ان أليس فرّت واختبأت خلف شجرة تراقب المعركة.

تساءلت أليس امام القتال: «**ترى ما أصول المبارزة؟ يبدو لي من مراقبتي لسير القتال ان من اصول اللعبة ان الفارس الذي يصيب خصمه يلقي به ارضاً عن ظهر حصانه، واذ اخطأه، يسقط هو متكوماً على الارض. ولكن ياللعجب، عندما يسقط الفارس عن متن جواده يحدث قرقعة وضجة كأن مجموعة من الصحاف النحاسية سقطت من علٍ. وكذلك اعجب لهدوء الحصانين، يبدو لي أن الفارس يسقط ثم يعتلي حصانه مسرعاً والجواد جامد لايتحرك كأنه منضدة لاحيوان ذو حياة**».

لكن أليس لم تلاحظ قاعدة في الصراع وهي ان الفارس الذي يهوي انما يهوى دائماً على رأسه. انتهت المعركة عندما سقط الفارسان معاً ووقعا جنباً الى جنب ولما نهضا تصافحا بهزِّ الايدي ثم امتطى الفارس الأحمر جواده وانطلق لايلوي على شيء.

اقترب الفارس الابيض من أليس وقال لها وهو يلهث: «**كان انتصاراً عظيماً، أليسَ كذلك؟**». قالت أليس: «**لاادري، فأنا لااريد ان اكون اسيرة احد، اريد ان اكون ملكة**».

قال الفارس الابيض: «**ستصبحين ملكة ولا شك عندما تبلغين المربع الأخير، أي بعد ان تعبري الجدول التالي. أما انا فارافقك حتى آخر الغابة حيث**

يجب أن أعود. انت تعرفين اصول اللعبة، فهذا آخر مدى مسموح لي أن ابلغه. . .»

قالت أليس: «**شكراً لك، هل لي ان اساعدك في رفع الخوذة عن رأسك؟**» كان واضحاً انه لايقدر ان يرفعها وحده فساعدته وتمكنت حين هزته بقوة من ان تخرج رأسه منها.

نظر الفارس الى أليس بعينيه الكبيرتين ووجهه الندي وقال وهو يسوي شعره الاشعث: «**الآن استطيع ان اتنفس بسهولة**». كان يبدو رقيقاً دمثاً فتساءلت في نفسها: «**هل رأيت في حياتي جندياً غريب المنظر كهذا؟**». كان يرتدي ثياباً من الصفيح لاتناسب جسمه فهي فضفاضة، وعلى كتفيه صندوق غريب الشكل مقلوب، غطاؤه مفتوح. تفرست أليس في هذا الرداء متعجبة. . لاحظ الفارس ذلك فقال: «**ارى انك تحدقين متعجبة من صندوقي الصغير، انه من اختراعي، لكي اضع فيه ثيابي وبعض الطعام. هل تلاحظين أيضاً انني احمله مقلوباً، الحكمة في ذلك ان لاتتسرب اليه مياه المطر**».

قالت أليس: «**ولكن الا ترى ان الاشياء التي فيه تسقط منه، ألم تلاحظ ان غطاءه مفتوح؟**». اضطرب الفارس وقال: «**لم الاحظ ذلك، لقد سقط جميع ماكان فيه من اشياء وضاع إذن. مافائدة الصندوق بدونها؟**». اخذ يحلّ رباط الصندوق وهو بادي الأسف واوشك ان يلقي به في أجمة عندما عبس كأن خاطراً طرأ على باله، ثم استدار وعلق الصندوق على شجرة والتفت نحو أليس قائلاً: «**هل تحزرين لماذا فعلت هذا؟**». هزت أليس رأسها نفياً، فقال الفارس: «**لكي تأتي اسراب النحل وتصنع قفيراً وعندئذ سأجني العسل الذي تتركه فيه**».

قالت أليس: «**لكن يبدو لي ان عندك قفيراً معلقاً بسرج حصانك او شيئاً يشبه القفير**» قال: «**بل هو قفير، من أجود انواع القفران على الاطلاق، لكن للأسف لم تشأ نحلة واحدة ان تدخله وتصنع العسل. هذا الشيء الآخر الذي ترين هو مصيدة فئران ـ اظن ان الفئران تبعد النحل أو أن النحل تبعد الفئران، لاأدري أيهما يخيف الآخر**».

قالت أليس: «**كنت أتساءل لماذا انت تحمل مصيدة فئران معلقة بسرج حصانك، وبرغم تفسيرك مازلت اعجب ألا تظن أن من المستبعد ان تتسلق فأرة**

صهوة حصان».

قال: «**اوافقك ان ذلك من المستبعد الى حدٍ ما، ولكن اذا حدث ان جاءت الفئران وتسلقت صهوة جوادي، فلا أريد ان اترك لها المجال لتتجول على هواها هنـا»**. صمت ولمـا رآى ان أليس لا تتكلم استطـرد: «**انت تدركين طبعـاً ان من الافضل ان يحتاط المرء ومن اجل هذا ترينني قد وضعت خلاخل فوق حوافر حصاني»**.

قالت أليس بدهشـة: «**ولمـاذا الخلاخل؟**». قال الفارس بجدية: «**احتياطاً، لدرء خطر اسماك القرش النهمة. وهذا ايضاً من اختراعي. . . والآن هل لك ان تسـاعـديني على امتطـاء جوادي، على أن اذهب معـك الى نهاية الغابة ـ ولكن، لماذا تحتفظين بهذه الصحفة؟**».

قالت أليس: «**انها لاجل فطيرة بالخوخ**». قال الفارس: «**آه، ستكون مفيدة لنا اذا عثرنا على فطيرة بالخوخ في طريقنا، ساعديني على وضعها في هذا الجراب»**.

لم تكن عملية وضع الصحفة في الجراب سهلة كما قد يتصور البعض وبرغم أن أليس كانت تمسـك بفـوهـة الجـراب وتفتحهـا، إلّا أن الفـارس لم يفلح في المحاولات الأولى لادخال الصحفة في الجراب، حتى انه نفسه سقط في داخل الجراب مرتين او ثلاثاً. عندما نجح اخيراً في ادخال الصحفة في الجراب تنفس الصعداء وقال لأليس: «**اصبح الجراب محشوراً كما ترين، فهناك عدد كبير من الشمعدانات في داخله**». قال ذلك وعلق الجراب على السرج الذي كانت تتدلى منه اشياء عجيبة مثل حزمة من الجزر وملاقط حديد وغيرها.

انطلقت أليس ومعها الفارس في طريقهما الى خارج الغابة، سألها الفارس: «**ارجـو ان تكـوني ثبت شعـرك بطـريقـةٍ مأمونة**». قالت: «**بل بالطريقة العادية، لمـاذا تسأل؟**» قال: «**لأن الـريـح شديدة جداً هنا كما ترين، شديدة كالحساء**».

قالت أليس: «**هل اخترعت طريقة تثبت الشعر على الرأس فلا يتلاعب به الهواء ويطيـره؟**». قال: «**كـلا، الى الآن لم اختـرع الطـريقـة ولكني وضعت خطـة لاختـراع يمنـع الشعـر من السقـوط**». اعجبت أليس بالفكـرة وقـالت: «**هـلّا اخبـرتني، فإنّي أحب ان اسمـع طريقة تمنع تساقط الشعر**». قال: «**أولاً، خذي بعض العيـدان الـدقيقـة وضعيهـا في شعرك، ثم تبدأ الشعرات بالألتفاف حولها**

متعرشة صعداً، كما تتعرش النباتات. اكتشفت ان السبب في تساقط الشعر أنه يتدلى من الرأس - والاشياء كما تعرفين لايمكن أن تسقط الى الاعلى - الشعر يسقط لأنه يتدلى الى اسفل، فلو جعلناه يتسلق العيدان صعداً، لايستطيع حينئذٍ ان يسقط صعداً. هذه الخطة من اختراعي انا لكنني اسمح لك بتجربتها ان شئت».

قالت أليس في نفسها: «ليس هذا الاختراع شيئاً مريحاً» ولكنها لم تقل شيئاً من ذلك للفارس بل سارت معه وهي تفكر في هذه البدعة التي طلع بها وكانت تتوقف بين الحين والآخر لكي تساعده على امتطاء صهوة جواده اذ كان يسقط مرة فمرة ولم يبدُ عليه انه كان يجيد ركوب المطايا. كلما وقف الحصان (وكان يقف غالباً) يسقط الفارس الى امام وكلما انطلق مندفعاً الى أمام (وكان يفعل ذلك على نحو مفاجىء) يسقط الفارس الى وراء. على العموم كان ركوبه مقبولاً عندما يسير الحصان دائماً دون توقف، لولا أن الفارس كان يسقط أحياناً من أحد الجوانب ايضاً، ولاحظت أليس انه يسقط دائماً من جهتها حيث تسير فخطرت لها فكرة ان لاتسير في محاذاة الحصان لئلا يسقط الفارس عليها.

مدت أليس يد العون للفارس كي تعيده الى صهوة حصانه للمرة الخامسة وقالت له: «يبدو لي أنك في حاجة الى بعض التدريب على ركوب الخيل، ألا تنقصك بعض الخبرة؟».

دهش الفارس لملاحظة أليس، وبدا انه استاء منها ولكنه قال وهو يركز نفسه في السرج ويمسك بشعر أليس خوفاً من السقوط الى الجهة الثانية: «ما الذي جعلك تقولين هذا؟». قالت: «لأن الفرسان لايسقطون عن متون الجياد كما تفعل انت اذا اتقنوا ركوب الخيل» قال الفارس: بلهجة صارمة: «تدربت كثيراً، نعم تدربت كثيراً». لم تجد أليس ماتقوله رداً على التأكيد خيراً من كلمة: «صحيح»؟. ثم تابعا في صمت تام. كان الفارس مغمضاً عينيه أما أليس فظلت يقظة تنظر الى الفارس توقعاً للسقطة المقبلة.

اخيراً تكلم الفارس بصوت عال ورزين وهو يلوح بيده اليمنى: «ان فنّ ركوب الخيل فنّ عظيم واساسه أن -». لكن الجملة انتهت فجأة كما بدأت، لأن الفارس سقط على رأسه وامام أليس مباشرة فكادت تدوسه. جزعت أليس هذه المرة عليه وصاحت وهي ترفعه عن الارض: «ارجو ان لايكون احد عظامك قد

كُسِر»؟. قال وكأنه لايأبه لانكسار عظم اوعظمين في جسده: «ان فن ركوب الخيل العظيم اساسه ان يحفظ الفارس توازنه وهو على متن الجواد، هكذا، انظري..»

قال وبسط ذراعيه تاركاً العنان لكي ترى أليس مهارته في التوازن ولكنه سقط منقلباً على ظهره بين قوائم الحصان، سارعت أليس الى رفعه فسمعته يقول مردداً: «كثيراً من التدريب، كثيراً من التدريب». فقدت أليس صبرها فصاحت به: «هـذا مضحك، هذا مزرٍ، لايليق بك ان تركب جواداً، بل افضل لك ان تركب حصاناً خشبياً ذا عجلات....».

اهتم الفارس كثيراً بما قالته أليس فسألها وهو يلف ذراعيه حول رقبة الحصان كيلا يسقط أيضاً: «هل يسير ذلك النوع بطريقة ناعمة، اعني بهدوء ودون قلقلة؟». قهقهت أليس: «طبعاً، بهدوء اشد من هدوء الحصان الحقيقي». صاح الفارس جذلاً: «إذن، سأحصل على حصان من هذا النوع، بل على اثنين أو ثلاثة، بل اكثر».

سكوت لم يطل كثيراً لأن الفارس تكلم: «انا نابغة في اختراع الاشياء. ولابد أنك لاحظت عندما انهضتني في المرة الأخيرة اني كنت مستغرقاً في التفكير؟». قالت: «كان يبدو عليك انك مهموم». قال: «كنت في تلك اللحظة اخترع طريقة تمكن المرء من اجتياز البوابات، هل تحبين ان تسمعي شرحها؟». قالت بأدب: «بكل سرور» انفرجت اسارير الفارس وقال: «حسناً، سأخبرك كيف خطرت ببالي. قلت لنفسي: ان صعوبة اجتياز البوابات تكمن في القدمين، لأن الرأس دائماً اعلى من العارضة ـ لذلك اذا وضعت رأسي على قمة العارضة العليا في البوابة ـ يبقى الرأس دائماً اعلى من مستوى العارضة هذه ـ فإذا وقفت على رأسي ورفعت قدمي الى اعلى، تصبح هاتان ايضاً فوق مستوى العارضة العليا في البوابة، فانقلب الى الجهة الثانية بكل سهولة ـ اترين؟». قالت أليس: «اجل، هكذا تعبر البوابة الى الجهة الأخرى ولكن ألا تعتقد أن في ذلك بعض الصعوبة؟». قال: «لم اجرب هذا الاختراع، ولا يمكنني ان اجزم ولكني اتصور ان فيه بعض الصعوبة كما تقولين».

انقبض وجه الفارس لهذه الفكرة فأحبت أليس ان تغير الموضوع فقالت بلهجة مرحة: «ما هذه الخوذة الغريبة التي لك؟ أهي من اختراعك ايضا؟».

نظر الفارس بفخر واعتزاز الى خوذته وقال: «**نعم، ولكني اخترعت خوذة افضل منها، واحدة مخروطية. عندما كنت اعتمرها واسقط عن ظهر حصاني كانت ترتطم بالارض قبلي لطولها، وهكذا يكون سقوطي خفيفاً. انما كانت فيها خطورة، هي السقوط في داخلها. حدث هذا مرة، والأسوء أني قبل ان اتمكن من الخروج منها، جاء الفارس الابيض واخذها ووضعها على رأسه. ظن انها خوذته**». كان يتكلم بجدية وبرغم ذلك لم تستطع أليس ان تغالب ضحكها وتقول: «**اظنك اذيته، اعني حين وضع الخوذة على رأسه وانت لاتزال داخلها فوقعت فوق رأسه**». قال: «**بكل تأكيد، رفسته بقوة على قمة رأسه، فخلع الخوذة ورآني في داخلها، ولكن كل الجهود لم تكن كافية لاخراجي منها قبل ساعات، اذ التصقت في جوفها**».

كان يتكلم شارحاً الموقف بحماسة فاختل توازنه وتدحرج عن ظهر الحصان وسقط في حفرة عميقة. ذعرت أليس عندما رأته يسقط في الحفرة واسرعت تنجده وعجبت من سقوطه وكان قد سار مسافة غير قصيرة وهو متوازن وخشيت ان يصاب بأذى كبير ولاسيما أنه سقط في حفرة. دارت حول الحصان لتصل اليه فلم تَرمنه شيئاً، كان مغروزاً في الحفرة ورأسه الى أسفل ولا يظهر منه سوى نعلي حذائه. اطمأنت عندما سمعته يتكلم من قعر الحفرة ورأسه فيها كأن لم يحدث له شيء. ولقد كانت لهجته طبيعية جداً. سمعته يقول: «**لم يكن يحق له ان يعتمر خوذة لاتخصه، وهو المخطىء، إذ لايحق له ان يضع على رأسه خوذة ليست له، خصوصاً اذا كان هناك رجل محشور فيها**».

دهشت أليس وقالت له: «**كيف تستطيع ان تتكلم هكذا بكل هدوء ورأسك الى اسفل مغروز في قعر حفرة؟**». لم تنتظر جوابه بل جذبته الى أعلى ممسكة بقدمه ثم القته متكوماً على الارض قرب الحفرة التي سقط فيها. استغرب الفارس سؤال أليس له: وقال: «**ماعلاقة وضع المرء بكلامه، ؟ يستطيع المرء ان يتكلم بقطع النظر عن وضع جسده سواء كان رأسه الى اعلى ام الى أسفل، انا شخصياً عقلي يستمر بالعمل جدياً مهما كان وضع جسمي. في الواقع ألاحظ ان مقدرتي على الاختراع تتضاعف عندما يكون رأسي الى اسفل**». جلست أليس تنظر اليه دون ان تتفوه بكلمة فاذا به يسترسل في الحديث: «**الآن أعظم شيء في حياتي هو اختراعي نوعاً من الفطائر في اثناء تناول طعام من اللحوم**». قالت: «**اخترعتها**

لدى تنـاول الطعـام لكي تهيأ وتطبـخ للوجبـة التـاليـة. حسنـاً، انـه عمل عظيم وسـريـع». لكنـه اعترض قائلاً: «كلا ليس من أجل الوجبة التالية، بكل تأكيد، ليس للوجبـة التـالية». قالت: «إذن، لليوم التالي، فلا يعقل ان تأكل وجبتين في آنٍ واحد أو أن تتناول نوعين من الفطائر في عشاء أو غداء واحد...».

بدا كأن الفارس يعمل فكره بجهد وهويردد: «كلا، ليس لليوم التالي، قطعاً، ليس لليوم التالي»، وكان يحني رأسه دائماً، اما صوته فكان ينخفض بالتدريج ثم قال: «لاأعتقـد ان الفطـائر تطبخ في الواقع، لااعتقد أحداً طبخ فطيرة من قبلٍ، وهـذا لايغير من الحقـائق شيئـاً. كان شيئـاً عظيماً ان اخترع فطيرة، كان عملاً عظيماً جداً».

الفصل الثامن

انه من اختراعي

اضطـرب الفـارس المسكين عنـدمـا تعثـر اختراعه للفطيرة وظهر عليه القلق. فأحبت أليس ان ترفع من معنوياته بالدخول في تفاصيل الاختراع فسألته: «ومم تـركب هذه الفطيـرة، ما المـواد التي تستعمل في صنعها»، قال الفارس: «اول شيء هو الـورق النشـاف. . .». صاحت أليس: «الـورق النشاف؟ ، لن يكون مستسـاغـاً على ما اظن». قال: «كلا، لايكون مستسـاغاً وحده. ولكن لايمكنك ان تتصـوري كيف يختلف الأمـر عندما تمتزج بورق النشاف اشياء اخرى - مثل البـارود، والشمـع الأحمر، وغيره. لكن، عفواً، يجب أن اذهب الآن يجب ان اتركك وامضي». كانا حقاً قد بلغا طرف الغابة وأليس شاردة تفكر في الفطيرة التي تصنع من الورق النشاف وملح البارود والشمع الأحمر.

كان الفـارس مازال واقفـاً قربهـا، فقال لها بصوت فيه لهجة استعطاف: **«يبدو لي أنك حزينة، هل ترغبين في أن أغنّي لكِ لعلي اسرّي عنك بعض همومك؟»**. قالت: **«هـل هي أغنيـة طويلة؟»**. وكـانت سئمت الشعـر لكثرة ماسمعت منه في هذا اليـوم. قال: **«طـويلة حقـاً ولكنهـا جميلة جداً، ومن يسمعني اغنيهـا أما ان تغرورق عيناه بالدموع وأما ـ »**. سألته أليس بلهفة: **«وأما ماذا؟»**. قال: **«اقول أمـا ان تغـرورق عينـاه بالـدموع وأما لا، أي لايتأثر بها ابداً. . . اسم الاغنية هو «عيـون السمـك»**. فقـالت وهي تتظاهر بالاهتمام: **«ذلك هو اسم الأغنية حقاً؟»** قال: **«كـلا، لم تفهمي** (وبـدا عليـه الانفعـال)**، ذلـك مايـدعـونها به أما الأسم الحقيقي فهـو** (الـرجل الهرم الهرم)**»**. قالـت: **«فهمت كان يجبُ ان اقول: «هل هذا مايدعون به الاغنية؟»**

صاح بعصبيـة: **«كـلا، ذلك الشيء مختلف تماماً، الأغنية تدعى** (الاساليب والـوسـائـل)**، ذلك فقط مايدعونها به، كما تعرفين»**. اختلط الأمر على أليس وما عادت تفقه شيئاً فقالت بيأس: **«حسناً ماهذه الأغنية، اذن»**. تنهد الفارس وقال: **«ذلـك ماسنصـل اليـه. الأغنيـة في الـواقـع هي الجلوس على بوابـة ولحنها من اختراعي انا. . . »**.

ترك الفـارس العنـان من يده على عنق الحصـان الواقف مكانه وبدأ يقرع بيده السـرج لضبـط الايقاع وعلى محياه ابتسامة يشرق بها وجهه الذي تتجلى فيه كل معالم البلاهة والخبل وكأنه يستمتع باللحن الذي يغنيه وبدأ ينشد.

من كل الاشيـاء الغـريبـة التي شاهـدتهـا أليس في **«عالم المرآة»** كان هذا ما لايمكنهـا ان تنسـاه ما عاشت وستبقى تتـذكره بأدق تفصيلاته. رغم مرور السنين ستبقى قادرة على تذكـر المنظـر كأنـه حدث لهـا في يوم سابق فقـط ـ منظـر عيني الفـارس الـزرقـاوين الهـادئتين، ابتسـامتـه الناعمة، الشمس المنحدرة نحو افق المغيب وشعـاعهـا المتسلل من خلال شعره والمنعكس بلمعانٍ باهر على صفحة درعه، ثم الحصان الواقف بهدوء وعنانه على عنقه وهو يرعى العشب عند قدميها والاشبـاح السـود المتهاوية وراء الغابة ـ كله انطبع كأنه صورة متكاملة راسخة في ذهنها وهي متكئة على شجرة تراقب الفارس وحصانه وتصغي كأنها في حلم الى لحن الأغنيـة الشجي. وقفت تتأمـل المنظر وتقول: **«ولكن لحن الأغنية ليس من**

اختراعه بل هو لحن الأغنية المعروفة (اعطيتك كل شيء ولم يبق عندي شيء)»
كانت تصغي دون ان تغرورق عيناها بالدمع الى الأغنية التي تقول:

« سأروي لك كل ما استطيع
وليس منه الكثير
رأيت رجلاً هرماً، هرماً
يجلس على بوابة».
قلت: «من أنت أيها الهرم؟
وكيف تعيش؟»
تسرب صوته من خلايا دماغي
كما يتسرب الماء من مسام المنخل
«قال: «اني الاحق الفراشات
التي تنام بين قصلات القمح،
اصطادها واصنع منها فطائر اللحم
وابيعها للرجال (كما قال)
الذين يبحرون في البحار الهائجة،
وبهذه الطريقة اكسب معاشي،
وهو ليس بالشيء الكثير، من فضلك...»
«لكني كنت افكر في خطة اختراع
ان يصبغ المرء شاربيه باللون الاخضر
ثم يستعمل مروحة يد كبيرة
بها يحجبهما عن الانظار،
وبما أني لاأملك جواباً
عما قاله الرجل الهرم
صرخت به: «قل لي كيف
ولكمته على أم رأسه

«قال لي بنبرة هادئة :
«اني اذهب في طريقي
واذا صادفت أجمة على سفح جبل
اضرمت فيها النار،
من هذا يستخرجون ذلك الشيء
الذي يدعونه (زيت رولاند التجاري)
ولا يدفعون لي لقاء جهدي
سوى قرشين ونصف قرش فقط»
لكني كنت افكر في اختراع طريقة
يقتات بها المرء من اللبن،
كلما أكل منه يوما
يزداد سمنة على سمنة .
امسكت بالرجل الهزم الهرم وجعلت أهزه
بعنف
حتى اصبح لون وجهه ازرق
ثم صحت به: «هيا قل لي كيف تعيش
وما العمل الذي تقوم به؟»
«قال: «اني اصطاد عيون السمك
من بين الاجمات الملتفة،
واصنع منها ازرار معاطف النساء
في الليالي الهادئة .
والازرار لا أبيعها بالذهب
ولا بالنقود الفضية اللامعة،
بل بقطعة النقد النحاسية نصف قرش
وهي تشتري تسعة ازرار».
«واحياناً انقب في الارض عن رقائق خبز
بالسمن
أو غصون طرية مخللة، اصنعها طعاماً

للسرطان،
واحياناً ابحث عن اكليل العشب في الهضاب
لأصنع منها عجلات لعربات الخيل،
وهكذا يا سيدي (قال وهو يغمز بعينه)
اكسب بالجد ثروتي الضخمة»
وانا على استعداد وبكل سرور أن اشرب نخب صحتك».
اصغيت اليه بقليل من الانتباه
لأني كنت وقتها انهي اختراعاً جديداً
اختراعي لحفظ الجسر الجديد على النهر من
الصدأ
اغليه في خلقين هائل من الخمر.
شكرت له تلطفه باعلامي
بمصدر ثروته، وكيف حصل عليها.
وشكرته اكثر
لأنه قبل ان يشرب نخبي. . .»
«والآن اذا حدث مرة ان وضعت اصبعي خطأ
في وعاء الغراء،
او ادخلت قدمي اليمنى
في فردة حذائي اليسرى
او إذا اسقطت على اصابع قدمي
شيئاً ذا وزن ثقيل
فإني ابكي بحسرة لأنه يذكرني
بالرجل الهرم الهرم الذي عرفته مرة».
«الرجل ذي الحديث الناعم، والنطق البطيء
ذي الشعر الذي يفوق الثلج بياضاً
ذي الوجه الذي يشبه وجه الغراب
ذي العينين المتقدتين كأنهما جمرتان
كان شارد الذهن لفرط الاسى

كان يهز جسمه جيئة وذهابا
وهو يتمتم بصوت منخفض لايفهم منه
شيء،
لأن فمه يكون دائماً مليئاً بالعجين
كان يشخر ويخور كأنه الجاموس
في تلك الليلة المقمرة، منذ أمدٍ بعيد
حين كان جالساً على بوابة».

انهى الفارس اغنيته وجمع عنان جواده وادار اللجام ليوجه الحصان في الطريق الذي جاء منه وقال: «**لم يبقَ عليك سوى ان تقطعي بضعة امتار نزولاً عن هذه التلة، ثم تعبرين ذلك الجدول الصغير ـ وتصبحين ملكة. انما عليك ان تبقي في هذا الجانب قليلاً لكي تودعيني؟**». التفتت أليس بلهفة وتشوق نحو الجدول الذي ستعبره الى المربع الأخير فتصبح ملكة، واستطرد الفارس: «**لن يستغرق ذلك منك وقتاً طويلاً، ستنتظرين وتلوحين لي بمنديلك عندما أبلغ المنعطف في الطريق، ألا تفعلين؟ سيكون تشجيعاً مفيداً منك لي، كما تعرفين**».

قالت أليس برقة وحنان: «**سأنتظر بلا ريب، وأني اشكر لك ما تجشمته من مشقة لأجل مرافقتي الى هنا، اما الاغنية، فأني أحب ان اؤكد لك انها كانت رائعة واعجبت بها جداً**». قال الفارس: «**آمل ان تكون كذلك، ولكنك لم تبكي. كما توقعت ولم تغرورق عيناك**».

تجاهلت أليس ماقاله ومدت له يدها تصافحه ثم سار الفارس متمهلاً عبر الغابة. قالت أليس وهي تنظر اليه يبتعد: «**ارجو ان لايستوجب وداعه وقوفي وقتاً طويلاً هنا. آه، ها هو يهوي شكاً على رأسه كالعادة... ولكنه ينهض ثم يمتطي حصانه بسهولة، إنه يتسلق بسهولة لكثرة ما على سرج الحصان من ادوات**».

هكذا كانت تحدث نفسها وهي تراقبه يسير الهوينا ويهوي حيناً بعد حين الى هذه الجهة أو تلك. بعد السقطة الرابعة او الخامسة بلغ منعطف الطريق، فلوحت بمنديلها وظلت تراقبه الى أن اختفى.

ادارت رأسها نحو المنحدر وقالت: «**ارجو ان يكون تشوّقي ووداعي له هكذا بعثا في نفسه شيئاً من التشجيع على أي حال. والآن لم يبقَ سوى ان اهبط**

المنحدر واعبر الجدول الأخير لأصبح ملكة. كم هو عظيم، يا للفخر...».

خطت بضع خطوات واذا هي على ضفة الجدول فصاحت: «**المربع الثامن والأخير**»، وقفزت فوقه الى الضفة الاخرى.

*

وما كادت تلامس ارض المربع الثامن، وكانت مرجاً تكسوه الاعشاب الخضراء الندية وتتخلله احواض من الازهار، حتى ألقت بنفسها على التراب لتستريح بعد لحظات تنبهت لجلستها وقالت: «**كم انا سعيدة لأني بلغت هذا المكان. ولكن، ماهذا الذي على رأسي؟**»، صاحت بصوت امتزج بشيء من الخوف والاستغراب ورفعت يديها لتلمس شيئاً ثقيلاً كان ينوء به رأسها، واخذت تتحسسه، فاذا هو يطوق قمة رأسها على نحو محكم وكأنما صنع لها، ثم بدت صرخة عجب واستغراب: «**ولكن كيف وصل الى قمة رأسي انه ثقيل، ترى ماهو؟**» رفعت ذلك الشيء عن رأسها ووضعته على ركبتيها لتتبين ماهو، بل مايمكن ان يكون...

ولم يكن سوى تاج الملك الذهبي.

الفصل التاسع

أليس ملكة

قالت أليس لنفسهـا: «**عظيم، لم اتـوقع ان اصبح ملكة بهذه السرعة. . .**».
ثم عبست واستطـردت بلهجـة صارمـة: «**اسمعي ياصـاحبة الجلالة** (تذكرون ان أليس دائمـاً مولعـة بتـوبيـخ نفسها في هذه المواقف)، **لايليق بك ابداً ان تتقلّبي وتتمطي على الاعشـاب هكـذا. . . يجب ان تبجـل الملكـة وتتصـرف بطـريقة ملكية، أتفهمين؟**».

نهضت وسـارت قليـلاً في ذلـك المكـان ـ بتعـالٍ وجسمها منتصب بكبرياء ـ ولكنهـا لم تحـرك رأسهـا لأنها كانت تخشى ان يسقطَ التاج عنه. كانت مضطربة قليلاً لكنها هدأت لما ادركت أنه ما من أحد يراها فقالت تناجي نفسها: «**اذا كنت ملكة حقيقية فسأعتاد كيفية التصرف مع الوقت**». وجلست ثانية على العشب.

كانت الاشياء تحدث بطريقة غريبة حتى ان أليس لم تدهش أو تستغرب عندما نظرت حولها ووجدت الملكة الحمراء والملكة البيضاء جالستين جوارها. أحبت ان تسألهما كيف جاءتا دون ان تشعر بهما ولكنها لم تفعل إذ تصورت أن ذلك لن يكون لائقاً. وحسبت ان لن يضير سؤالها هل انتهت اللعبة، فالتفتت الى الملكة الحمراء وقالت: «**هل لك ان تخبريني من فضلك**...». واذا الملكة الحمراء تقاطعها قائلة بصوت حازم: «**تكلمي فقط عندما يوجه اليك الكلام**».
قالت أليس (وهي مستعدة دائماً للخوض في المجادلات الصغيرة): «**اذا لم تتكلمي إلّا عندما يخاطبك شخص، وبقي الشخص ينتظر منك ان تبدأي فلن يتسنى لأحد أن يقول شيئاً، وهكذا**...». صرخت الملكة الحمراء: «**هذا مضحك، هذا سخف، لماذا لاتدركين ايتها الصغيرة**». فجأة صمتت ووجهها عابس تفكر مدة دقيقة ثم غيرت الموضوع كأنها تريد ان تبدأ محادثة جديدة مختلفة فقالت: «**ماذا تقصدين بالقول«لو كنت في الحقيقة ملكة»؟ بأيِّ حق تسمين نفسك ملكة؟ لايمكنك ان تكوني ملكة إلّا بعد أن تجتازي الامتحان، ومن الافضل ان نبدأ بلا تأخير**...». قالت أليس برقة: «**قلت فقط «لو»**...».
نظرت الملكتان كل منهما للأخرى وقالت الملكة الحمراء وهي تنتفض غضباً: «**تأملي، تدعي انها لم تقل سوى كلمة «لو»**...». وعقبت الملكة البيضاء: «**لاشك في انها قالت اكثر من هذه الكلمة، نعم قالت كلمات**...». التفتت الملكة الحمراء الى أليس وقالت: «**أرأيت؟ أسمعت، قلت اكثر من كلمة «لو» بكثير. نصيحتي لك، قولي الحقيقة دائماً، فكري قبل ان تتكلمي ثم دوني للحال ماتقولين**...».

قالت أليس: «**بكل تأكيد كنت أعني شيئاً**». لكن الملكة الحمراء قاطعتها برعونة: «**هذا ما اشكو منه، كان يجب ان تعني شيئاً. ماذا تكون فائدة طفل اذا لم يكن له معنى؟ حتى النكتة يجب ان يكون لها معنى ما، والطفل أهم بكثير من النكتة... لايمكنك ان تنكري هذا حتى لو حاولتْ استعمال يديك كلتيهما**».

اعترضت أليس قائلة: «**انا لاانكر الاشياء بيدي**...». ردت الملكة الحمراء: «**لم يقل احد انك فعلت ذلك، قلت «لايمكنك حتى لو حاولت»**».

تدخلت الملكة البيضاء قائلة: «**انها في حالة نفسية معينة، انها تحاول ان تنكر شيئاً، ولكنها لاتعرف ماذا تريد ان تنكر**». احتدت الملكة الحمراء

صائحـة : «ذلـك طبـع رديء، سيىء. . . » . ثم ساد سكون مشحون بالانفعال. قطعت الملكة الحمراء الصمت بقولها وهي تلتفت الى الملكة البيضاء : «ادعوك الى حفلة العشـاء على شرف أليس بعـد ظهـر اليـوم» . ابتسمت الملكـة البيضاء بنعومة وقالت : «وأنا كذلك ادعوك. . . » .

قالت أليس : «لم اعلم بحفلة ستقـام على شرفي، او تكـريمـاً لي، ولكن اذا الأمر كذلك، اعتقد ان عليّ انا ان ادعو كل الضيوف» . قالت الملكة الحمراء : «اعطيناك الفرصة لتفعلي، ولكن يبدو لي انك لم تتمرسي كفاية بقواعد المراسم الـرسميـة حتى الآن. . . لم تأخذي دروساً كافية. . . » . قالت أليس : «المراسم لاتعطى دروسـاً، الـدروس تعطى لتعليم الحسـاب، وغيـرهـا من العلوم» . هنـا تدخلت الملكـة البيضـاء وسألت أليس : «هل تعرفين الحساب؟ اذا كنت تعلمتِه قولي لي ما هو مجموع واحد مع واحد مع واحد مع واحد مع واحد مع واحد مع واحـد مع واحـد مع واحـد مع واحـد مع واحد؟» . قالت أليس : «لا اعرف، لم اتمكن من العـد بهـذه السـرعـة» . قالت الملكـة الحمـراء : «يبـدو انها لاتعرف الجمع، ربما تعرف الطرح، ماالباقي من طرح تسعة من ثمانية؟» .

قالت أليس بحيرة: «تسعة من ثمانية؟ لااقدر ان اطرحها بسرعة، ولكن. . . » .

قالت الملكة البيضاء : «لاتقدر ان تطرح، هل تعرفين القسمة؟ اقسمي رغيفاً من الخبـز بالسكين، ماهـو الجـواب؟» . قالت أليس : «اعتقـد. . . » . قاطعتهـا الملكـة الحمـراء قائلة : «الجـواب طبعـاً، شطيـرة من الخبـز بالزبدة. على كل حال، حاولي عملية طرح أخرى : خذي عظمة من كلب، فماذا يبقى؟» . فكرت أليس وقـالت : «العظمـة لاتبقى طبعـاً لأني آخـذها، والكلب لايبقى ايضاً، لأنه سيهجم عليّ ويعضني، وكـذلـك أنـا لاابقى هنـاك» . قالت الملكـة الحمـراء : «اذن، تعتقدين انه لايبقى شيء؟» . قالت أليس : «اظنه الجواب» . قالت الملكة الحمـــراء : «خطأ، كالمعتـــاد يبقى غضب الكلب» . اعتـرضت أليس : «لاافهم كيف؟» . اجابت الملكة الحمراء : «اسمعي، عندما تأخذين العظمة طبعاً سيثور الكلب غاضبـاً، أليس كذلـك؟» . قالت أليس بحـذر: «من الطبيعي ان يحـدث ذلـك» . استأنفت الملكـة قائلة : «إذن، اذا ذهب الكلب في طريقـه يبقى غضبه

هناك، **هل فهمت؟**». فكرت أليس وقالت: «**اذا ذهب الكلب فربما ذهب غضبه ايضاً في اتجاه آخر**»، ثم عادت تقول: «**ماهذا الهراء الذي نحن فيه، انه لأمر مخيف؟**».

التفتت الملكة الحمراء الى الملكة البيضاء وقالت: «**لافائدة، ليست بارعة في الحساب**». فجأة حدقت أليس في الملكة البيضاء وقالت لها بنبرة حادة: «**هل تعرفين الحساب؟**» ولم تكن تريد منهما ان يعتبرا انها ضعيفة وينسبا اليها اخطاء في كل ماتقول. شهقت الملكة دهشة واغمضت عينيها وقالت: «**اعرف الجمع، واستطيع ان احمع اذا اعطيتني الوقت الكافي، اما الطرح فلا قدرة لي عليه في اي حال**». تكلمت الملكة الحمراء قائلة لأليس: «**ولكنك تعرفين الأبجدية بلا ريب؟**»، اجابت أليس: «**اعرفها بلا شك؟**». همست الملكة البيضاء: «**انا اعرفها كذلك وسوف نقرأها معاً، انا وانت يا عزيزتي، ولكني سأخبرك سراً، أنا استطيع ان اقرأ الكلمات التي تتألف من حرف واحد فقط، أليس ذلك عظيماً؟ لا تيأسي، فسوف تتعلمين ان تفعلي ذلك ايضاً مع الوقت**».

تدخلت الملكة الحمراء لتقول لأليس: «**هل يمكنك ان تجيبي عن اسئلة مفيدة؟ قولي لي كيف يصنع الخبز؟**». اجابت أليس باستخفاف: «**لااعرف، تأخذين بعض الدقيق -**». تدخلت الملكة الحمراء قائلة: «**هذه الأسئلة تتعبها، روحي على رأسها بالمروحة، يبدو ان رأسها اصبح حاراً لفرط التفكير**». وبسرعة امسكت كل من الملكتين بطاقة من الاغصان واخذتا تروّحان امام وجه أليس التي تضايقت جداً فصاحت بهما كفى، لأن الهواء عبث بشعرها. قالت الملكة الحمراء: «**استعادت حالتها الطبيعية الآن، قولي لي، هل تعرفين اللغات؟ اذن مامعنى كلمة (خنفشار) باللغة الفرنسية؟**». قالت أليس: «**خنفشار ليست كلمة ذات معنى**». قالت الملكة الحمراء: «**من قال ان لها معنى؟**». هنا وجدت أليس الفرصة لتأكيد الملكتين فقالت: «**اذا كنت قادرة على القول بأية لغة تستعمل كلمة (خنفشار) اعطيك معناها بالفرنسية**». قطبت الملكة الحمراء حاجبيها بكبرياء وقالت: «**الملكات لايقبلن التحدي والمساومة**». فقالت أليس: «**كنت اتمنى لو أن الملكات لايكثرن الاسئلة**». تدخلت الملكة البيضاء سائلة: «**لاتدعانا نختلف ونتشاجر وانا اسأل ماسبب البرق؟**». اجابت أليس مسرعة: «**سبب البرق؟ انا واثقة بمعرفتي، سبب البرق هو الرعد، لا، لا عفواً، بل**

العكس». قالت الملكة الحمراء: «تأخرت عن التصحيح، عندما تقولين شيئاً يثبت، وعليك ان تتحملي النتائج» صاحت الملكة البيضاء: «هذا يذكرني بما حدث يوم الثلاثاء الماضي (تفرك يديها بعصبية). حدثت صاعقة قوية، اعني وقعت صاعقة هائلة في آخر ايام الثلاثاء من الاسبوع المنصرم.

استغربت أليس القول وسألت: «كيف؟ في بلادنا ليس سوى يوم ثلاثاء واحد في الاسبوع ولا يكون هناك ثلاثاوات عدة في اسبوع واحد». قالت الملكة الحمراء: «هذا مؤسف، عندنا هنا نجمع أياماً عدة في يوم واحد، واحياناً في الشتاء نأخذ اربع ليال أو خمساً معاً، تأميناً للدفء، كما تعرفين» سألت أليس: «هل خمس ليال معاً أدفأ من ليلة واحدة» قالت الملكة: طبعاً، خمس ليالي أدفأ من ليلة واحدة بمفردها؟». بخمسة اضعاف». قالت أليس: «وكذلك يجب ان تكون ابرد من ليلة واحدة بخمسة اضعاف». قالت الملكة: «تماماً، ابرد بخمسة اضعاف وادفأ بخمسة اضعاف، تماماً كما انا اغنى منك خمسة اضعاف، وامهر منك خمسة اضعاف».

تنهدت أليس وعيل صبرها ثم قالت بيأس: «ماهذا؟ كأنه لغز لا حلّ له»...

تكلمت الملكة البيضاء بصوت منخفض كأنها تناجي ذاتها: «هامبتي دامبتي رآها ايضاً، جاء الى الباب يحمل في يده مفتاحاً حلزونياً لسدادات الفلين».

انتبهت الملكة الحمراء وهتفت: «وماذا يريد؟». ردت الملكة البيضاء: «قال انه يريد ان يدخل. انه يبحث عن فرس البحر. للأسف لم يكن هناك فرس بحر في ذلك النهار». قالت أليس مستغربة: «لماذا؟ هل من العادة ان يكون هناك فرس بحر؟». قالت الملكة: «فقط ايام الخميس».

هتفت أليس: «انا اعرف ماذا جاء يبغي، انه يبغي معاقبة السمكة لأنها».

تدخلت الملكة البيضاء ثانية لتقول: «كانت عاصفة رعدية مخيفة، لايمكنك ان تتصوري...». (علقت الملكة الحمراء قائلة: «من اين له ان يعرف ذلك».

استطردت الملكة البيضاء: «يالها من عاصفة، طار جزء كبير من سقف البيت، ودخل قسم كبير من الرعد الى المنزل والصاعقة تنتشر في البيت، وتتدحرج كتلاً كبيرة وتقلب الطاولات والأواني والاشياء - تملكني الرعب بحيث لم أعد اذكر شيئاً حتى اسمي».

فكرت أليس قائلة: «اذن لن احاول ابداً ان اتذكر اسمي عندما يقع لي

حادث، فما فائدة ذكر الاسم عندما يتعرض الانسان الى حادث خصوصاً في اثناء وقوعه؟». ولم تقل ذلك بصوت عال كيلا تجرح شعور الملكة.

التفتت الملكة الحمراء الى أليس وكانت قد امسكت يد الملكة البيضاء بكلتا يديها واخذت تربت عليها بلطف ورقة وهي تقول: «ياصاحبة الجلالة، يجب ان تعذريها، ليس في وسعها إلّا ان تروي بعض الاشياء السخيفة والقصص غير المعقولة احياناً، انما قصدها حسن دائماً، تلك عادتها».

نظرت الملكة البيضاء الى أليس بخجل فشعرت هذه بأن عليها ان تقول لها شيئاً ولم يخطر لها مايمكن ان تقوله في هذا الموقف.

استطردت الملكة الحمراء: «لم يتح لها ان تتلقى التربية الصالحة من صغر، انما من المدهش ان يكون لها هذا الطبع الرقيق، ربتي رأسها وسترين كم يسرها ذلك». ولم يكن لدى أليس الشجاعة الكافية لتفعل ما اهابت بها الملكة الحمراء ان تفعل».

وتابعت هذه حديثها: «قليل من اللطف والأيناس، اذ تضع شعرها الورق، يزرع العجائب في نفسها -». تنهدت الملكة البيضاء عند سماعها الكلام وألقت رأسها على كتف أليس وهي تقول: «يغلبني النعاس، كم اود أن أنام». لم تقل أليس شيئاً ولكن الملكة الحمراء قالت لأليس: «انها متعبة، مسكينة، مسدي شعرها بلطف، اعيريها قبعة النوم وغني لها اغنية وهدهديها لتنام». قالت أليس: «ليس عندي قبعة نوم، وكذلك لااعرف أية أغنية اهدهدها بها». قالت الملكة الحمراء: «اذن، يجب عليّ ان افعل ذلك عنك واخذت تغني:

«نامي يا سيدتي في حضن أليس،
حتى يحين موعد الوليمة، يمكنك ان
تغفي بهناء
وبعد انتهاء الوليمة سنذهب الى
الحفلة الراقصة
الملكة الحمراء، والملكة البيضاء
وأليس، كلنا».

ألقت الملكة الحمراء رأسها على كتف أليس الأخرى وهي تقول: «الآن تعرفين كلمات الاغنية، غنيها لي لأنام فأنا يغلبني النعاس ايضاً». وفي لحظة

كانت الملكتان نائمتين على كتفي أليس تشخران شخيراً عالياً.

حارت أليس وقالت: **«ماذا عليَّ ان اصنع الان؟»** وفيما هي تتكلم تدحرج راس كل من الملكتين عن كتفيها الى حضنها وكأنهما قطعتان كبيرتان من الخشب. قالت أليس لنفسها: **«لااظن هذا حدث قبلاً، أي لم يحدث ان اضطر انسان ان يهتم بملكتين تغطان في نومهما على ركبتيه في آن واحد. لم يحدث في كل تاريخ انكلترا، اجل لايمكن ان يكون حدث شيء مثله، فلم يكن في يوم في تاريخ البلاد ان التقت ملكتان معاً في آن، انهضا، ما اثقلكما، هيا انهضا»**. ولكن دعاءها ذهب مع الرياح، اذ لم تتحرك أي منهما وكان الجواب غطيطاً خفيفاً من كلتيهما.

أخذ الغطيط يتعالى ويتحول الى مايشبه اللحن أو النغم واخيراً تصورت أليس انها تستطيع تمييز بعض الكلمات المفهومة فيه، اصغت بانتباه كلي لعلها تفهم شيئاً منه وبلغ من شدة انتباهها للغطيط انها لم تشعر بشيء عندما اختفى الرأسان فجأة من حضنها وما كادت تحسّ ان شيئاً حدث. كانت الاشياء تتبدل في مايشبه الغمامة، واذا أليس تجد انها واقفة امام مدخل قصر كبير على شكل قنطرة عالية مكتوب فوقه **«أليس الملكة»** وعلى عمودي الجانبين مقبض جرس يتدلى، قرأت على الأول كلمتي **«جرس الضيوف»** وعلى الثاني **«جرس الخدم»**.

وقفت وقالت: ـ **«سأنتظر الى أن ينتهي النغم واقرع الجرس»** ثم اخذت تتساءل: **«أيّ الجرسين يجب أن اقرع؟** لست ضيفة، ولست خادماً. **يجب ان يكون هناك جرس ثالث يكتب عليه: «جرس الملكة»**.

في هذه الأثناء فتح الباب قليلاً، واخرج مخلوق ذو منقار طويل رأسه للحظة وقال: **«غير مسموح بالدخول الى مابعد الاسبوع القادم»** ثم أغلق الباب بعنف.

اخذت أليس تقرع الباب وقتاً طويلاً دون جدوى، واخيراً نهض ضفدع طويل كان جالساً تحت شجرة وكان يرتدي ثياباً فاقعة الصفرة وحذاءً كبيراً. واخذ يعرج ببطء باتجاه أليس: **«ماذا الآن؟»** قال الضفدع بصوت مبحوح عميق هامس، التفتت أليس وهي متهيئة لاصطياد خطأ من ايّ شخص **«اين الخادم المكلف بإجابة الباب؟»** قال الضفدع: **«أي باب؟»** فاغضبتها طريقته البطيئة بالكلام واجابته بحدة: **«هذا الباب بالطبع»**، نظر الضفدع الى الباب بعينيه الكبيرتين الباهتتين لبرهة، ثم اقترب من الباب ومسح باصبعه عليه كما لو كان يريد معرفة

أسيترك صبغ الباب أثراً في اصابعه ام لا . . . ثم نظر الى أليس وقال : «**إجابة الباب؟! ولكن** (عن ماذا سأل الباب؟) وكان صوته مبحوحاً وخافتاً لدرجة ان أليس لم تسمعه إلّا بصعوبة . «**لااعلم ماتقصد؟**» قالت أليس : «**انا** (يتكلم الانكليزية) **أليس كذلك؟**» واستمر الضفدع : «**ام أنت صماء؟**» (ماذا سألك الباب؟) .
«**لاشيء**» قالت أليس . وقد نفدَ صبرها «**انا كنت ادق الباب**» «**ماكان لك ان تفعلي ذلك! ماكان لك ان تفعلي ذلك**» تمتم الضفدع «**فهذا** (يزعجها)» ثم ذهب الى الباب ورفسها بإحدى قدميه الكبيرتين . «**اتركيه لحاله**» قالها الضفدع لاهثاً وعاد يعرج الى مكانه تحت الشجرة «**وسيتركك لحالك كما تعلمين**» .

وفي هذه اللحظة ، فتح الباب على مصراعيه وسمعت أليس صوتاً حاداً يغني :

«الى عالم المرآة» قالت أليس
«في يدي الصولجان والتاج على رأسي
دع مخلوقات المرآة من أي نوع كانت
تأتي وتتناول الطعام مع الملكة الحمراء والملكة البيضاء ومعي» .

ثم شاركتها مئات الأصوات مغنية :

«واملأوا الكؤوس بأسرع وقت تستطيعونه
وانثروا المائدة بالازرار والنخالة
وضعوا القطط في القهوة والفئران في الشاي
واهلاً بالملكة أليس مع (ثلاث مرات ثلاثين)»

ثم أعقب ذلك صخب الأصوات الكثيرة المرحبة عجباً . . .

وفكرت أليس مع نفسها (ثلاث مرات ثلاثين تساوي تسعين ، اكان هناك من يحسب؟)

ساد الصمت ، دقيقة ، بعدها عاد الصوت الحاد يغني مقطعاً آخر :

« يا مخلوقات المرآة » قالت أليس «اقتربي
انه لشرف ان تروني وفضل ان تسمعوا
انه امتياز عال أن تتناولوا العشاء والشاي
مع الملكة الحمراء والملكة البيضاء ومعي»

وهنا جاء صوت المجموعة مغنياً :

«واملأوا الكؤوس بالدبس والحبر»

أو أي شيء آخر شربه يسلي
اخلطوا الرمل مع عصير التفاح والصوف مع النبيذ
واهلاً بالملكة أليس (تسع مرات تسعين)
(تسع مرات تسعين).

اعادتها أليس بيأس **«لن ينتهي ذلك ابداً. من الأفضل ان أذهب في الحال** وعندما دخلت ساد الصمت، فاتجهت الى المنضدة بعصبية، وعندما مشت في القاعة الكبيرة لاحظت وجود حوالي خمسين ضيفاً من مختلف الأنواع، حيوانات برية، وطيور، بل كانت بعض الأزهار هناك ايضاً **«انا مسرورة لمجيئهم من غير انتظار للدعوة»** فكرت أليس **«اذ ليس باستطاعتي ان اعرف من منهم يُفترض ان ادعوه»** كانت هناك ثلاثة كراسي تتصدر المائدة، فقد جلست الملكة الحمراء والملكة البيضاء على اثنين منهم. وتركتا الاوسط فارغاً، جلست أليس وهي تستثقل الصمت متمنية ان يبدأ احد بالكلام، واخيراً بدأت الملكة الحمراء قائلة: **«لقد فاتك الحساء والسمك.. احضروا فخذ الغنم»** وجلب الندل فخذاً من لحم الغنم ووضعوه امام أليس التي نظرت اليه بتردد، لأنها لم تقم بتقطيع واحد مثله من قبل.

«تبدين خجلة قليلاً.. دعيني اعرفك على فخذ الغنم» قالت الملكة الحمراء **«.. أليس.. الخروف... الخروف.. أليس.»**

نهض فخذ اللحم وانحنى تحية لأليس التي ردت التحية وهي تجهل أكانت خائفة ام مسرورة.. **«هل اعطيك شريحة من اللحم»** قالت متناولة السكين والشوكة وهي تعيد النظر من ملكة لأخرى: **«بالطبع لا..»** قالت الملكة الحمراء بلهجة قاطعة **«ليس من اللائق ان تقطعي اي احد تتعرفين عليه.. خذوا فخذ اللحم..»** وأخذ النادل فخذ اللحم ووضعوا فطيرة خوخ مكانه..

«من فضلك.. لااريد التعرف على فطيرة الخوخ» قالت أليس ذلك بسرعة **«وإلّا فلن نتناول العشاء.. هل استطيع اعطاءك قليلاً منه؟»** ولكن الملكة الحمراء نظرت عابسة وقالت بصوت مزمجر: **«أليس.. فطيرة الخوخ... فطيرة الخوخ.. أليس.. خذوا فطيرة الخوخ..»**

واخذ النادل فطيرة الخوخ قبل ان ترد أليس التحية للفطيرة.

وعلى أية حال لم تعرف أليس لماذا يكون للملكة الحمراء فقط الحق في إصدار الأوامر، فأحبت التجربة وصاحت: **«ايها الخدم، اعيدوا فطيرة الخوخ»**، واذا فطيرة الخوخ ترجع مكانها أمام أليس بسحر ساحر. قطعت أليس قطعة من الفطيرة وقدمتها الى الملكة الحمراء فصاحت الفطيرة: **«ياللغرابة، هل تحبين أن أقطع قطعة منك أيتها المخلوقة؟»**. لم تعرف أليس بماذا تجيب وبقيت تنظر في الفطيرة حين تكلمت الملكة الحمراء قائلة: **«تكلمي، قولي شيئاً، ابدي أية ملاحظات، من المضحك أنكِ تكتفين بمحادثة فطيرة الخوخ دون سائر الموجودين»**.

قالت أليس: **«أتعرفين، لقد سمعت شيئاً كثيراً من الشعر والقصائد اليوم** (وعجبت لأن الصمت التام ساد ما أن فتحت فاها لتتكلم) **والاغرب أن كل القصائد كانت تدور حول السمك، هل لك ان تخبريني لماذا المخلوقات هنا مغرمة بالسمك الى هذا الحد؟»**.

قالت الملكة الحمراء: **«في السمك، إن الملكة البيضاء تعرف بعض الاحاجي، وهي منظومة شعر، وكلها عن السمك، هل تحبين ان تسمعيها؟ يسرها ان تنشدها لك»**. (كانت تهمس بهذه الكلمات في اذن أليس مباشرة).

واذا الملكة البيضاء تنحني على اذن أليس وتهمس ايضاً قائلة: **«تلطفت جلالة الملكة الحمراء بذكر هذا، هل تسمحين لي؟»** (وكان صوتها كهديل الحمام).

لم يكن يسع أليس إلّا ان تقول: **«ارجو ان تتكرمي بذلك؟»** ضحكت الملكة البيضاء بسرور وربتت خد أليس تحبباً واخذت تنشد:

«اول كل شيء يجب ان نصطاد
السمكة،
انه سهل في ظني، اي طفل يستطيع
ان يفعله
ثانيا السمكة يجب ان تشترى، انه سهل ايضاً، قرش واحد يستطيع ان يفعله.
الآن اطبخي لي السمكة،
انه سهل ولن يستغرق اكثر من دقيقة
ضعيها في الصحفة،

انه سهل، لأني اراها هناك الآن.

. . . . . .

احضريها لي، لأتناول عشائي
من السهل جداً وضع الصحفة على
هذه المائدة
ارفعي غطاء الصحفة
آه، عسير جداً واخشى ان لااكون
قادراً عليه

. . . . . .

لأن السمكة تقبض عليه من الداخل
وتجعله يلتصق مثلما يلتصق بالغراء
ايهما اسهل لك الآن:
ان تكشفي الغطاء أو ان تكشفي
اللغـز؟

قالت الملكـة الحمـراء: «**خـذي دقيقـة وفكـري في الجـواب**». **وفي الاثناء سنشـرب كلنـا نخب الملكـة أليس**». ماكـادت الملكة الحمراء تهتف بهذا حتى هب المدعوون كلهم يشربون نخب الملكة أليس بصخب وضوضاء لايوصفان، بطـرائق غريبـة عجيبـة، بعضهم رفعـوا الكؤوس فوق رؤوسهم واهـرقوا الخمر ثم اخذوا يلعقونها وهي تنهمر على وجوههم وبعضهم اهرقوها على المائدة ثم اخذوا يلتقطـون قطـراتها وهي تتساقط من عن حافة المائدة، وثلاثة من الضيوف (ويبدو أنهم من حيـوانـات القنفر) قفزوا الى وسط وعاء اللحم المطبوخ، وراحوا يلعقون المرق حتى قالت أليس: «**انهم يلعقون المرق كالخنازير في المشرب**».

كلمت الملكـة الحمـراء أليس «**يجب الآن ان تردي بالشكـر على الانخـاب وتلقي خطاباً مناسباً**».

نهضت أليس مرتبكـة فهمست الملكـة البيضـاء في اذنهـا: «**سنـدعمـك فلا تضطربي**»، ولكن اليس قالت لها: «**شكراً لك لااحتاج الى مساعدة**». **الملكتان** اصـرتـا على مسـاعـدة أليس واخذتا تضغطان جنبيها. **قالت أليس فيما بعد وهي**

تروي قصة الوليمة لأختها: «**كانتا تشدان عليّ كأنهما تريدان ضغطي لأصبح رقيقة كالورقة**».

لم يكن من السهل على أليس ان تلقي خطابها حين تستمر الملكتان بضغطها من الجانبين لدعمها كما تزعمان حتى كادتا ان ترفعاها عن الارض لكن اليس استطاعت ان تقول: «**إني أود ان اشكركم جميعا. لهذا قمت لاعبر لكم -**». كان ماقالته أليس صحيحاً حرفياً اذ قامت وارتفعت اشباراً مما اضطرها الى ان تمسك بحافة الطاولة وتشد بنفسها الى اسفل. وصاحت الملكة البيضاء بهلع: «**حاذري**»، ثم امسكت بشعر أليس واستمرت بالصياح «**حاذري، شيءما سيحدث**».

عندئذٍ (كما روت أليس لأختها من بعد) راحت اشياء غريبة وكثيرة تحدث في آن وفي لحظة. استطالت الشمعات حتى السقف، وبدت كأنها قصلات من القصب يتوهج رأسها بالنار، أما قناني الخمر، فالتقطت كل واحدة منها صحنين كجناحين واتخذت من الشوك والسكاكين ارجلاً، تتراقص في كل مكان واخذت تطير كالعصافير في جو القاعة، ثم ساد الهرج والمرج وعمت الفوضى.

فجأة سمعت أليس ضحكة خشنة فنظرت لترى ماذا حدث للملكة البيضاء فرأت فخذ الخروف جالساً في مقعد الملكة. تلك اللحظة سمعت أليس صوتاً يقول: «**ها أنذا**»، فالتفتت لترى الملكة البيضاء تصعد حافة وعاء الحساء، وتبتسم لها ابتسامة رضا ومحبة ثم تغطس في الحساء.

اختلطت الاشياء بعضها ببعض كثير من الضيوف كانوا قد انبطحوا في الصحون والصحاف، وانتصبت مغرفة المرق تتهادى في مشيتها مقتربة من أليس وهي تومىء اليها بأن تحيد عن طريقها.

صاحت أليس: «**ماعدت اطيق هذا**». نهضت وامسكت بغطاء الطاولة بكلتا يديها وجذبته بقوة وعنف، واذا الضيوف والصحاف والصحون والشموع كلها كومة واحدة على الارض. والتفتت أليس الى الملكة الحمراء وصاحت: «**أما انت...**»، وتوقفت عن الكلام لأنها لم تجد الملكة الحمراء في جوارها وكانت تريد ان تعاقبها لأنها اعتبرتها مسؤولة عن كل ماحدث. دهشت وتطلعت حولها واذا الملكة الحمراء تقلصت وصغر حجمها حتى حجم لعبة صغيرة ورأتها تركض

فوق الطاولة تلاحق شالها الطويل وكانت تجرّه وراءها وتدور حول نفسها لاحقة به.

لم تَدهش أليس لأن ما رأتـه من غرائب ماعـاد يدهشها شيء بعده، فأمسكت باللعبـة اي بالملكـة الحمـراء وهي تحاول القفز فوق قنينة حطت من طيرانها فوق الطاولة، وقالت لها: «**أما انت، فإني سأهزك وأهزك حتى أجعل منك قطيطاً...**»

الفصل العاشر

الهــز

أمسكت أليس بالملكـة الحمـراء ورفعتهـا عن الطـاولة تهزها جيئة وذهاباً بكل قوتهـا . لم تُبـدِ الملكـة الحمراء أية مقاومة ولكن وجهها راح يصغر وعيناها تكبران وتتحـولان الى الأخضـر، ولبثت أليس تهـزها والملكة تتضاءل وتصغر وفي الوقت نفسه تزداد بدانة ونعومة واستدارة و-

الفصل الحادي عشر

اليقظـــة

تحولت الملكة الحمراء الى قطيط أسود

. . . . . .

الفصل الثاني عشر

من رآى هذا الحلم؟

قالت أليس وهي تفرك عينيها وتخاطب القطيط باسمى معاني الاحترام، ولكن بنـوع من التأنيب: «**يجب ان لاتـزمجـري هكـذا ياصـاحبـة الجـلالـة الملكـة الحمراء، ايقظتني من حلم لذيذ، أجل، من حلم لذيذ وكنت معي طوال الوقت ياكيتي، كنت معي في تجوالي في عالم المرآة، هل تدرك ذلك ياعزيزي كيتي؟**».

للصغـار من القطـط عادة سيئـة، (قـالت أليس مرة ملاحظة) انها تخرخر دائماً جواباً عن أي شيء تقوله لها. فلو كانت تخرخر عندما تريد أن تجيب بنعم، لكان ذلك أفضل. وخليقاً بنا ان نتساعد على المحادثة والتفاهم ولكن كيف يمكنك ان تحـادث شخصـاً يقـول دائمـاً الكلام نفسه بهذه المناسبة خرخر القطيط رداً على سؤال أليس ولم يكن مستطاعاً ان تعرف أكان جوابه نعم ام لا.

أخذت أليس تبحث بين احجار الشطرنج حتى عثرت على الملكة الحمراء ثم جلست قرب المـوقـد ووضعت القطيـط والملكـة الحمـراء وجهاً لوجه قائلة وهي تصفق بيـديهـا بلهجـة الظفـر: «**هيـا، اعتـرف ايها القطيط إنك تحولت الى مثل هذه. بل الى هذه الملكـة الحمـراء**». عندما روت أليس القصة لأختها من بعد قالت: «**القطيـط لم ينظـر الى ملكـة الشطـرنج الحمراء، اشاح بوجهه عنها كأنه لايـراهـا ولكن بدت عليه مظاهر الخجل قليلاً، لذلك اميل الى الاعتقاد إنه فعلاً انقلب الى تلك القطعـة من الشطـرنج اي الملكة الحمراء**» صاحت أليس بلهجة ضاحكـة وهي تمسـك بالقطيـط: «**اجلس منتصباً ياعـزيـزي ثم انحنِ بايمـاءة الاحترام فيما انت تفكر فيماذا يجب ان تقول ـ عفواً ـ ان تخرخر، انكَ توفر وقتاً**» (كأنها كانت تريد تذكير القطيط بما قالته لها الملكة الحمراء من قبل). ثم رفعت القطيط وقبلته تعبيراً عن تقديرها له لأنه كان ملكة حمراء.

تطلعت حولها بحثاً عن القطيط الابيض «**قطعة الثلج**» وكان لايزال في الغسيل ثم سألتـه: «**متى تنتهي دينـا من تنظيف جلالتـك البيضـاء؟ ذلك هو السبب انك ظهرت غير نظيف ومرتب في حلمي. دينا، هل تعرفين انك تنظفين ملكة بيضاء؟ من المعيب ان تفعلي ولا تحترمي صاحبة الجلالة، الملكة البيضاء**».

وساءلت نفسها: «**ترى ماكانت دينا تمثل في الحلم؟**» انبطحت على الارض

ممسكة بالقطيط واتكأت على مرفقها في مواجهة دينا وقالت لها: «اخبريني يادينا، هل كنت تمثلين هامبتي دامبتي؟ اظن ذلك هو الواقع، ولكن لاتخبري رفاقك، فلست متأكدة».

استدارت نحو القطيط واستطردت: «حقاً ياكيتي لو كنت حقيقة معي في الحلم لكنت استمتعت بشيء لذيذ يهمك جداً ـ سمعت مقداراً كبيراً من الشعر، كله عن السمك. غداً في وقت تناولك الطعام سأنشد لك قصيدة «الفظ والنجار» وهكذا يمكنك ان تتصور إن ما تأكله هو من المحار...».

والآن ياكيتي، لنفكر في من رآى هذا الحلم في الواقع. هذا سؤال جدي ياعزيزي، ولا يليق بك ان تستمر في لحس قوائمك وانا احدثك ـ وكأن دينا لم تغسل وجهك قط. من رأى الحلم؟ يجب ان يكون أنا أو الملك الأحمر، كان هو جزءاً من حلمي كما كنت انا ايضاً جزءاً من حلمه ترى هل كان هو حقاً من رأى الحلم؟ قل لي ايها القطيط العنيد. كنت انت في الحلم زوجته، الملكة الحمراء، لذلك يجب ان تعرف ـ ايها القطيط يجب ان تساعدني لأكشف الأمر. توقف عن لحس قائمتك، انها تستطيع الانتظار...

لكن القطيط العنيد راح يلحس قائمته الثانية كأنه لم يسمع سؤال أليس. سؤال أليس. من ترى رأى هذا الحلم؟

الخاتمة

(قصيدة من لويس كارول) :

في زورق تحت السماء الصافية
يتمايل كأنه في حلم
في إحدى أمسيات تموز

. . . .

جلس ثلاثة أولاد صغار في جواري
عيونهم مفتحة وآذانهم مصغية
ليتمتعوا بهذه القصة الخيالية

. . . .

تجهمت السماء الصافية منذ أمد
وتلاشت الاصداء والذكريات
ونحر صقيع الخريف زهو تموز

. . . .

لكن خيالات عجيبة تترآى
وأليس تتجول في تلك الانحاء
والعيون الصاحية لاتراها

. . . .

مع ذلك ما زال الاولاد الصغار
بعيونهم المفتحة واذانهم المصغية
يتشوقون الى سماع هذه
القصـــة

. . . .

في بلاد العجائب يجولون
يحلمون، فيما الأيام تمضي سراعاً
وفصول الصيف تتلاحق الى الزوال

. . . .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
١٥٧٧ لسنة ١٩٨٥
مطبعة الرشيد بغداد هاتف ٨٨٧٩١٣٣

الطبعة الاولى ١٩٨٥

الناشر : دار ثقافة الاطفال ص. ب ١٧١٤٦ بغداد ـ العراق

سلسلة مكتبتنا

تصدر عن قسم البحوث والنشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام رئيس مجلس الادارة: فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة: فاروق يوسف

السعر ٢٥٠ فلس